قصص
العصبي
أحمد رمضان
دار ليلى

العصبي

(مجموعة قصصية)

احمد رمضان

كيان كورب للنشر والتوزيع
دار ليلى

© جميع الحقوق محفوظة، وأي اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع - دون موافقة كتابية - يعرض صاحبه للمساءلة القانونية

الكتاب:
العصبي
المؤلف:
أحمد رمضان
* * *
الغلاف:
محمد محمود
* * *
الإشراف العام:
محمد سامي

المهندسين-23 شارع السودان—تقاطع مصدق-الدور الرابع—مكتب 11
هاتف: 33370042 (02) (002) - 23885295 (012) (002)
البريد الإليكتروني: mail@darlila.com الموقع الرسمي: www.darlila.com

احمد رمضان

العصبي

دار ليلى
كيان كورب
للنشر والتوزيع

ورقة

أجتاز الطفل الشارع رغم السيارات العابرة بسرعة .. حمل بضاعته الرخيصة على ظهره و بدأ يطرق نوافذ السيارات منادياً عليها .. رمقه بعض أصحاب السيارات بلا مبالاة .. و البعض بأستنكار أحياناً خاصة عندما يواصل الطرق على النوافذ بألحاح .. تلقى كلمات السباب من بعض السائقين و قابلها بأبتسامة بلهاء .. أنتقل إلى شارع آخر .. لساعات ظل يتنقل و يدور بين السيارات .. تملكه التعب قليلاً فأتجه إلى الرصيف .. جلس عليه يستريح لبرهة و يستعيد أنفاسه اللاهثة .. رمى بضاعته بجانبه و أحصى نقوده القليلة .. رفع عينيه للشمس التي تحرقه بحرارتها .. تلفت حوله بحثاً عن شئ يستظل به .. لم يجد سوى صفحة شبه ممزقة .. صفحة من جريدة قديمة حملها الهواء حتى أستقرت على بعد خطوات منه .. ألتقطها و طواها على رأسه .. نظر للشارع منتظراً أغلاق الأشارة الضوئية حتى ينطلق مرة أخرى .. مسح بضع قطرات من العرق بطرف قميصه المتسخ .. هبت نسمة من الريح أطارت الصفحة من قبضة يده الضعيفة .. ألتقطها مرة أخرى

قبل أن تطير بعيداً .. و قبل أن يضعها على رأسه مرة أخرى لمح صورة فيها .. بسط الصفحة أمامه قليلاً .. صورة عائلة صغيرة .. أب و أم يحتضنان أبناءهما بسعادة .. لم يدرك أنه أعلان .. لم يكن يجيد القراءة و الكتابة على أى حال .. كل ما لفت نظره تلك الأبتسامة التي تضئ وجه كل واحد منهم و قد لفت الأم بيدها على الأبناء من جهة .. و الأب من جهة أخرى .. سرح قليلاً مع الصورة .. أرتسمت على وجهه بلا وعى أبتسامة صغيرة قتلتها أشعة الشمس الحارقة .. أنتبه فأحكم وضع الصفحة فوق رأسه مرة أخرى .. شرد بعيداً و تساءل في حيرة .. لماذا يبتسم الأبناء في الصورة بهذا الشكل .. ربما سببه الأحساس الأمان .. ذلك الأحساس الذي لم يعرفه منذ هرب من الملجأ لقسوة المعاملة هناك .. و قبلها لم يعرف معنى العائلة .. ألتقطوه صغيراً من أحد الحقول المهجورة و لم يستدلوا على أهله .. هكذا أخبروه في الملجأ .. عندما يسمع أحداً يتكلم عن العائلة يشعر بشئ غامض .. ربما لأنه لم يعرف يوماً معنى تلك الكلمة أو يدرك قيمتها .. حرص كثيراً على أن يعرف معناها لكنه فشل .. منذ هرب من الملجأ لعب عدة مرات في الشارع مع أطفال في مثل عمره .. بعضهم يمنعه من اللعب معهم بتأفف ، و البعض يقبلوه بلا أهتمام .. عندما يرى كل واحد منهم يتكلم عن عائلته يلتقط أحاديثهم بتركيز وأهتمام .. لم يستطع أن يكون صورة واضحة رغم ذلك .. و

لكنه يشعر أنهم يتكلمون عنها بلهجة تحمل كثيراً من الشعور بالأمان و الدفء .. الشعور الذي أفتقده دوماً

أنتبه على صوت فرملة سيارة .. أغلقت الأشارة الضوئية الآن .. ألتقط بضاعته التي وضعها على الرصيف بجواره .. نحى الورقة جانباً .. أنطلق بسرعة يسابق الزمن ليعرض بضاعته لأصحاب السيارات المنتظرة .. ألتقطت عيناه أحد السيارات على الجانب البعيد تبدو فارهه .. تقودها أمرأة بجوارها طفل ربما تعطف عليه و تعطيه بعض النقود .. أنطلق يقصدها .. لم ينتبه أن سيارة أخرى تأتى مسرعة رغم توقف الأشارة .. لم يشعر سوى بلفحة قوية من الهواء ترتطم بوجهه .. فرمل صاحب السيارة فوراً بمجرد أن عبر الطفل أمامه .. و تجمد هو في مكانه و هو يرى الجسم المعدنى المنطلق بسرعة نحوه .. قبل أن يغمض عينيه حتى لا يرى يد الموت الممتدة نحوه ، صدمته السيارة بقسوة

توقفت الحركة في الشارع .. نزل صاحب السيارة فوراً و هو ينهال بالشتائم على الطفل الذي عبر أمامه فجأه .. تجمع المارة حول كتلة اللحم و الدم الجديدة الملقاة على الطريق .. الطفل ممدد على ظهره تنساب منه بركة دماء تزداد تدريجياً .. بيده ما زال يقبض على كيس ممزق يحمل فيه بضاعته التي تناثرت محتوياتها بعيداً .. أسرع شخص ما يخترق الجمع

بصعوبة صائحاً بالناس أنه طبيب .. ما زالت قدما الطفل تنتفضان بشكل طفيف بينما سكن باقى جسده تقريباً .. لحظات كشف عليه الطبيب كانت أنتفاضة قدميه قد هدأت تماماً و سكن جسده بينما عيناه لا زالتا مفتوحتان تتطلعان بشرود إلى نقطة ما بعيدة غير مرئية .. هز الطبيب رأسه بأسف .. دارى البعض أعينهم ، بينما تناثرت همهمات أسف بين المارين المتوقفين .. ألقى أحد المارة نظرة على الجثة الحديثة مفتوحة العينين .. بحث في المكان عن شئ يغطيها به .. أختفى لثوان ثم عاد .. تقدم مخترقاً الحشود .. غطى وجهه بورقة من صحيفة لم يجد غيرها بعد أن سبل عينيه برفق .. أمتصت الورقة دماء الطفل فوراً .. ورقة من صحيفة قديمة لم يلاحظ أن على ظهرها ترتسم بوضوح .. صورة عائلة صغيرة تبتسم بدفء

معلش

أندفع في براءة ليلعب مع أبن الجيران .. لم يخجل سعيد من ملابسه القديمة أو حذائه الممزق بينما يرتدى الأولاد أفضل ملابسهم في العيد .. لم يكن في سن تسمح له بأدراك الفرق بين الغنى و الفقير .. أو تمييز وجود مسافات تفصل بينهما .. و ربما لهذا السبب لم يخجل .. وقف مع نبيل أبن الجيران الذي عاد والده للتو من الخليج محملاً بلعب كثيرة و دراجة جديدة .. تباهى نبيل وسط أقرانه بالعيدية الكبيرة التي تحصل عليها من والده .. لم يحقد سعيد عليه .. صحيح أنه تمنى بشدة أن تكون له لعب كثيرة مثل لعبه .. و لكن قلبه البكر لم يعرف معنى الحقد عليه .. أعجبته الدراجة الصغيرة بألوانها الزاهية فلم يطلب من صديقه سوى أن يسمح له بركوب دراجته قليلاً .. نظر إليه نبيل بأشمئزاز .. رفض طلبه بغضب .. أقترب منه سعيد مرة أخرى ليتوسل إليه مكرراً طلبه .. و لكنه دفعه بقوة جعلته يسقط على الأرض .. في تلك اللحظة دلف والد سعيد إلى الحارة .. عاد للتو مرهقاً من عمله كعامل سكة حديد رغم أجازة العيد التي يتمتع بها كل

الناس .. لمح أبنه على الأرض .. أندفع إليه .. ساعده على النهوض .. كف الأطفال عن السخرية منه عندما رأوا أبيه و أن لم يكفوا عن التطلع نحوه بأستهزاء .. سار به بعيداً .. ربت على كتفه بحنان .. نظر إليه في عينيه و قال له مشجعاً " معلش .. بكرة تبقى أحسن منهم"

رنت كلمات أبيه في أذنيه .. ظل يتذكرها طويلاً .. سنوات عدة مرت عليه بعدها توفى فيها والده .. أجتهد سعيد في دراسته .. تخرج من كليته ليواجه حياة قاسية .. عمل بكل المهن الممكنة لشاب في سنه .. لم ترأف به الحياة و أدارت له وجهها القاسى .. تنقل بين الوظائف لا يكاد يستقر في أى منها .. يعمل كبائع .. محاسب في محل صغير .. عامل في مصنع .. يعمل في أكثر من وظيفة أحياناً .. يجتهد ليحقق ما يحلم به .. يسهر كثيراً .. و يتعب كثيراً .. سنوات و كل ما يجنيه ليس إلا القليل .. مع الأيام ينحل جسده و لكن عزيمته تزداد صلابة ، ومعها ثقته بنفسه .. يجمع كل ما يكسبه .. يبدأ مشروعاً صغيراً مع بعض أصدقائه .. لم يلبث أن يفشل ليخسر معظم مدخراته البسيطة .. لا ييأس .. يمنحه القدر فرصة سفر للخارج أهداها له صديقه فؤاد الذي تحصل عليها و لكنه فضل عدم السفر لظروف أسرية .. يسافر سعيد .. تمر عليه سنوات الغربة ثقيلة .. يرجع بعد عدة سنوات بجسد معتل ، و مبلغ من المال يبدأ به مشروعاً أخر .. يتعلم من

تجربته الأولى .. يصر تلك المرة على النجاح ، لن يتحمل عواقب خسارة أخرى .. يتعب حتى يدفع تجارته نحو الأستقرار .. يخضع لفترة لتقلبات السوق فترتفع به أحياناً ، و تهوى به إلى القاع أحياناً أخرى .. و لكنه يغامر بكل طاقته و ما يملكه .. تمر عليه فترات طويلة صعبة ، يزحف اليأس إليه أكثر من مرة و لكنه يقاوم .. لا يريد تذوق مرارة الفشل مجدداً ، و لن يمكنه الصمود أمام تجربة محبطة أخرى .. شهور تواترت عليه ببطء قبل أن يرى تجارته تزدهر .. تعلم أن يحافظ على كل قرش يجنيه ليعود فيستثمره مرة أخرى في تجارته لتنمو أكبر .. و ينمو أسمه معها .. يقضى يومه بالكامل في العمل لا يعرف معنى الراحة و لا يتذوق لذتها .. يمنح عمله عمره و وقته بلا حساب .. تبتسم له الحياة أخيراً .. تستقر تجارته بعد طول تعثر .. و يبدأ في جنى أولى ثمار عمله .. و لأول مرة بعد سنوات مريرة من العمل بلا كلل أو توقف .. ينتابه شعور بالأمان لم يختبره من قبل ..

ينظر لوجهه يوماً في المرآة .. هاله الشعر الأبيض الذي يزحف على رأسه .. مرت الأيام بشكل أسرع من حساباته .. لم يدرك أن عمره يقترب من الأربعين .. لم يفكر يوماً في الزواج .. فحياته بأكملها كانت لتجارته .. خطب مرة واحدة بمجرد أن عاد من السفر.. و لكنها فشلت سريعاً .. ربما لأنه لم يحاول جدياً تغيير نمط حياته المضطرب .. يخرج في الصباح الباكر و

لا يعـود مـن عملـه إلا عنـد منتـصف الليـل ..أتهمتـه خطيبتـه بالأنانيـة و البخل .. لم يكن أنانياً و لكن قسوة السوق أستنزفت مشاعره ، و كل مليم كان يكسبه ظـل يـوفره خوفـاً مـن تقلبـات الـسوق علـى تجارتـه الهـشة قبـل أن تستقر .. أنتبه بعد أن أبتسمت له الدنيا أخيراً .. لا تعجبه فكـرة أن يقـضى ما تبقى من عمره وحيداً .. بلا طفل حتى يرثـه .. بـدأ جـدياً في البحـث عـن زوجة تشاركه مصيره .. طال بحثه حتى أهتدى أخيراً لمن أرتاح لها قلبـه .. أبتاع بيتاً كبيراً في الحارة التي شهدت أيام فقره .. أشترى أفضل الأثـاث ، و أقام حفل زفاف تكلم عنه الناس كـثيراً .. تـزوج و لم يعـد ينقـصه سـوى ولى العهد الذي يحمل أسمه ، و يرث تجارته بعـد عمـر يتمنـى أن يكفـى لـيراه شاباً يافعاً أمامه .. تنقضى الأيام سريعاً .. جميلة و لكن بدون أى بوادر لقدوم طفله المرتقب .. يتنقل بين كثير من الأطباء بلا فائدة .. يجمـع الأطبـاء علـى أنه لا يوجد عيب منـه أو مـن زوجتـه يمنعهمـا مـن الأنجـاب .. ينـصحونه بالصبر .. لم يعد يحب تلك الكلمـة .. يريـد أن يلغيهـا مـن قـاموس حياتـه للأبد .. عامـان يمـران و الـصبر يتجرعـه كـدواء مـر .. لأول مـرة في حياتـه يندم .. تمنى لو تزوج مبكراً .. أخيراً تظهـر بـوادر الحمـل عنـد زوجتـه .. يطير من الفرح .. يترك عمله كـثيراً و يـسهر بجانبهـا لرعايتهـا .. يراقـب بطنها و هى تكبر ببطء يوماً عن يوم .. يحـصى الأيـام و يعـد الـدقائق لقـدوم

أبنه .. و تلد زوجته .. يحمل أبنه و هو يبكى فرحاً .. يحتضنه و شعور خاص يجتاحه لم يتذوقه من قبل .. يراقبه يكبر يوماً بعد يوم بشغف .. يتابع كل تفاصيل حياته مهما كانت صغيرة بلهفة .. يعود من عمله مبكراً أحياناً فقط ليقضى وقتاً أطول معه ، و لا يكاد يفترق عنه طوال فترة تواجده في المنزل .. ينمو الولد أمامه و هو يرقبه بسعادة .. تعهد أن لا يبخل عليه بأى شئ .. يأتى إليه بكل ما يتمناه .. لا يريده أن يتذوق كأس الحرمان التي تجرعها صغيراً .. يكبر الولد ليبدأ اللهو مع أقرانه في الحاره .. يضايقه قليلاً الأمر .. لا يرغب أن يختلط أبنه بأطفال الحارة الفقراء .. يفكر في تغيير بيته و الأنتقال إلى مكان آخر ليوفر بيئة أفضل لطفله .. و لكن زوجته تعارض قراره ، فهى ترغب أن تبقى بجوار أهلها .. يؤجل مرغماً الفكرة لوقت آخر..

يرجع من عمله يوماً مرهقاً .. أبنه يلعب مع أطفال الحارة .. يسمح لهم بأستخدام لعبه التي أشتراها له .. تبهرهم لعبه الجديدة التي لا يمتلكون مثلها .. يقف لتحية أحد أصدقائه بمقربة من أبنه .. ينشغل بالحديث معه .. بعد قليل يصل إلى سمعه صراخ أبنه العالى .. يهرع إليه على الفور و قلبه يرتجف .. أحد أطفال الحارة كسر له لعبته المفضلة و هو يلهو بها .. و أبنه يصيح به بغضب .. يتجه للطفل الذي تسمر في مكانه خائفاً و بيده

اللعبة التي كسرها بدون قصد .. ينظر لملابسه المتسخة .. ينهره بعنف و هو يربت على كتف أبنه بحنان .. يطرق الطفل للأرض بخجل و جسده الضئيل يرتجف .. لا ينتبه سعيد لقدوم والد الطفل .. لم يكن سوى فؤاد صديقه القديم .. أعز أصدقائه الذي فضله على نفسه و منحه فرصة للسفر .. الدنيا لم تبتسم له كما فعلت مع سعيد .. يترك دكانه البسيط على ناصية الحارة و يهرع ليشهد الموقف .. أبن فؤاد ما زال في مكانه لم يتزحزح و قد بدأت الدموع تفلت من عينيه قهراً .. ينظر فؤاد بدهشة لصديقه القديم الذي وشت ملامحه بغضب تام .. يدنو من أبنه و هو ما زال ينظر إليه بعدم تصديق .. لم يعد يعرفه .. تغير كثيراً فلم يعد يميز صديق عمره القديم .. يحتضن أبنه الخائف .. يتألم و هو يرى دموعه التي أنسابت رغماً عنه .. يبتعد به و هو يشعر بمرارة في حلقه .. بينما مازال الأطفال يواصلون همساً السخرية منه .. يربت على كتفه بحنان بالغ .. يميل عليه مشفقاً .. يهمس في أذنه برفق و هو يحتضنه " ماتزعلش يا حبيبى .. معلش .. بكرة أن شاء الله هتبقى أحسن منهم"

الساقية المهجورة

كانت الشمس قد بدأت تغادر المكان تاركه مكانها للظلام الذي نشر خيوطه على الطريق الترابى الممتد ما بين القرية الهادئة و الحقول البعيدة عنها.

أسرع حمدان في الركوب عائداً إلى قريته بعد يوم طويل مرهق .. أضطر للبقاء في أرضه لفترة أطول على غير المألوف .. لم يعتاد الرجوع في الظلام .. و لكن للضرورة أحكام .. أنتهى متأخراً من رى أرضه بعد عطب طارئ أصاب ماكينة الرى الوحيدة لديه .. أستمر الهواء القوى يعصف بجسده النحيل و هو يستعد للمغادرة .. ربط بهائمه و أمتطى حماره و أسرع بطريق العودة .. لاحت القرية من بعيد كأحجار نرد قديمة متراصة بلا نظام .. طالما تمنى أن تكون له أرض بجوار بيته فيرتاح من مشقة الطريق .. و لكن حلمه ظل حبيس الخيال لا يرى النور كعادة كل أحلامه .. تنهد بأسف .. و لكز حماره بقوة

بدأ قرص الشمس في التهاوى و حمدان يخطو أولى خطواته على

الطريق .. بانت الأشجار و هامات النخيل كأشباح غاضبة تحركها الرياح القوية التي هبت على المكان .. كانت الرؤية صعبة بعد أن ملأ غبار خفيف الجو .. و لكنه لم يهتم .. حماره يحفظ الطريق على أى حال .. كل ما يفكر فيه وجبة ساخنة و كوب من الشاى عندما يعود يزيح بهما تعب اليوم .. و الأهم أن يحتمى داخل دفء بيته من تلك البرودة التي تميز الشتاء .. أنطلق يشتم حماره الذي يسير ببطء و هو يبحث عن العشب في جوانب الطريق .. يستحثه على أن يزيد من سرعته .. و كلما أقترب من الساقية المهجورة .. كلما زاد خفقان قلبه .. ذلك المكان الذي يخشى الجميع المرور به ليلاً .. حيث تتناثر الكثير من الحكايات على ألسنة أهل القرية عن أشباح و عفاريت تظهر فيه .. أحياناً تخطف المارة .. و أحياناً تؤذيهم فقط .. يقال أن أمرأة أتفقت مع حبيبها على الهرب و تواعدا على اللقاء عند الساقية .. أنتظرته هناك ولكن أهلها علموا بالأمر .. لحقوا بها و قتلوها.. و من يومها لم تدر الساقية مرة أخرى .. حكى له عمر أبن عمه ذات مرة كيف كان يمرعبر هذا الطريق ليلاً عندما سمع طنين غريب و لدغته حشرة لم يرى مثلها من قبل .. لدغة قوية لدرجة أنها آلمته لعدة أيام .. لا يزال يتذكر كلامه جيداً .. و يتذكر عندما أختفى عطية الذي ذهب قبيل الفجر ليسقى حقله قبل الناس و لكنه لم يرجع .. هنا عثروا على فأسه بجوار الساقية .. صحيح أن ملابسه

وجدوها في الحقل ، و ربما يكون الفأس قد وقع منه في الطريق .. و المرجح أن عطيه قتله وقتها بعض قطاع الطرق ممن أنتشر شرهم في تلك الفترة و أخفوا جثته .. و لكن الأشاعات تؤكد على أن أشباح هذا المكان هى السبب .. و أشاعات أخرى عن فلاحين مروا بهذا المكان .. بعضهم يسمع أصوات أمرأة تبكى .. و أخرين يحكون عن أضواء خافتة تنبعث من الساقية ليلاً .. بل أن بعضهم كان ينزف دماً عندما يقترب ليلاً من المكان .. و لكن معظم تلك الحكايات تبدو قديمة مر عليها وقت طويل لا يعلم مداه .. فأمه كانت تنقلها له عندما كان ما زال صغيراً.. و تبدو كتراث خاص يتناقله أناس قريته.

تلفت حوله بحذر و هو يقترب من الساقية المهجورة .. الهواء القوى بدأ يخمد ولا يسمع سوى صوت عبث الرياح الخفيف بفروع الأشجار .. أسرع الخطى و قد بدأت رعشة تسرى في جسمه لا يدرى أهى من البرد أم من الخوف .. أو لعله تعب اليوم .. لعن أصدقائه .. لماذا لم ينتظروه مثل كل يوم ليتوجهوا معاً إلى القرية .. يتخيلهم الآن في بيوتهم يستمتعون بالدفء ، أو لعلهم يتسامرون في مقهى القرية الوحيد و هم يلعبون النرد .. لعن صديقه سعد بالأخص الذي وعده أن يمر عليه عند أنتهاء اليوم ليعودا معاً و لكنه أخلف وعده .. كان يرى الآن الساقية القديمة بوضوح و بدت مخيفة و أشد كآبة بالنسبة له .. حاول أن يتذكر أى شئ يسعده .. طفت صور قليلة في

خياله قبل أن تستقر أخيراً على صورة حبيبته سعاد .. تذكر أبتسامتها المرحة التي غزت قلبه من أول لحظة رآها .. و لقاءاتهما المحدودة المتعة عندما تذهب إلى الحقل لوالدها تحمل الطعام إليه .. لم ينسى يوم تقدم لخطبتها .. كيف كانت مرتبكة لدرجة أنها سكبت المشروب الساخن عليه و هى تقدمه .. أبتسم رغم أرادته .. شهرين فقط و يتم زفافهما .. نسى للحظات الطريق و ترك نفسه بأستسلام سابحاً مع تيار أحلامه .. بينما حماره ينهب الطريق ببطء

فجأة توقف الحمار مكانه .. أفاق من أحلامه .. لم يدر لما توقف .. لكزه في بطنه بعنف .. عاود الحمار المشى لخطوات قليلة قبل أن يتوقف مرة أخرى .. أطال بصره في المكان يحاول أختراق الظلام الذي أحاط به .. و لكنه لم يبصر شيئاً .. ربما لمح الحمار ثعباناُ أو عقرب .. ترجل عن حماره .. دار ببصره مرة أخرى في المكان بتمعن دون أن يكتشف أثر لجديد .. أصاغ سمعه فلم يتناهى إليه سوى صوت حفيف أغصان الأشجار و هى تحركها الرياح .. أمتطى الحمار مرة أخرى و هو يسب و يلعن .. أهوى بالعصا على جسمه .. نهق الحمار بقوة و سار بخطوات ثقيلة إلى الأمام .. هبت نسمة هواء و معها دوى في أذن الرجل صوت عواء .. أنقبض قلب حمدان تماماً .. أيكون ذئباً .. ألهذا وقف الحمار .. و لكن المنطقة هنا ليس بها ذئاب .. لحظات من

السكون مرت بثقل عليه ثم دوى نفس الصوت مـرة أخـرى و لكـن هـذه المـرة أقرب ..أنتفض الحمار و صاحبه .. تشبتت يدا حمدان على عصاه بقـوة و قـد أتسعت عيناه على آخرهما يحاول أن يتبين أى شئ من الظلام المحدق بـه .. الرياح القوية بدأت تهب مرة أخرى .. تكاد تقتلعـه مـن علـى ظهـر حمـاره الذي يرفض بعناد المضى قدماً .. يتذكر الحكايات التي قيلت عن المكان .. كل حكايـة و كـل قـصة تطفـو الآن بقـوة بـداخل ذهنـه .. تكـاد ضـربات قلبـه تتوقف .. خيل إليه فجـأة أنـه رأى شـبحاً يمـر مـن جـواره .. بـسرعة كـتم أنفاسه .. تجمد الدم في عروقه .. تيبس جسده تماماً لا يكاد يتنفس .. توقف عقله عن التفكير .. حاول أن يتذكر أى آيات من القرآن و لكنه كان في حالة لا تسمح له بتذكر أى شئ .. شعر بهواء سـاخن يلفح رأسـه .. مـن أيـن يـأتى الهواء الساخن في ليلة شديدة البرودة كتلك .. تناهى إلى أذنه أصوات تقـترب منه .. أصاغ السمع جيداً .. لعلها خيالات تفرضـها سطوة المكـان ، لكنـه لم يكن واهماً .. الأصوات تقـترب .. أصـوات أقـدام .. تجمـدت أطرافـه .. شـل الخوف أدراكه .. مرت لحظات كأنها دهـور .. شـئ يعبـث برأسـه فيلتفت فجـأة ليـصطدم بـالظلام .. الأصـوات تقـترب مـن خلفـه .. خافتـة و لكنهـا واضحة .. أدار رأسه ببطء و حذر شديدين .. رفع قدمه اليـسرى لينـزل عـن حماره .. الصوت يدنو منه .. يتبينه الآن بوضوح .. شئ ما خلفه يقترب منه

ببطء كما يشعر .. تناول عصاه و شد عليها بيده .. يتنفس بقوة .. لم يعد يستطيع كتم أنفاسه المتلاحقة .. كان يهم بالنزول من على حماره عندما تحرك الحمار للأمام بغتة .. حركة مفاجئة لم يستطع معها حفظ توازنه .. وقع على الأرض بقوة .. أرتطمت قدمه بعنف بأحد الصخور الناتئة .. صرخ حمدان من الألم .. دوت صرخته في المكان بعنف لتشق سكون الليل .. حاول أن يقف على قدميه و لكنه لم يستطع .. تألم بشدة بينما أقترب الصوت منه و الذي سمعه تلك المرة واضحاً .. صوتاً خافتاً يناديه بأسمه

تختلف روايات أهل القرية كلما تذكروا قصة حمدان .. عاد حمدان إلى قريته تلك الليلة و هو يجر قدمه التي تنزف .. لولا صديقه سعد لما أستطاع العودة .. سعد الذي تأخر في الحقل هو أيضاً و كان في طريقه عائداً عندما لمح حمدان من بعيد .. لم يتعرف على من يسبقه على الطريق بسبب الظلام فنادى عدة مرات ليتوقف و لكن ضاع صوته مع الرياح القوية .. و عندما وقع حمدان هرع إليه و عرفه .. كانت قدم حمدان في حالة سيئة و أستمر ينزف بقسوة طوال الطريق الطويل ..أضطروا لنقله إلى مستشفى بعيد حيث لا يتوافر آخر في القرية الصغيرة فساءت حالته أكثر .. أنتابته حمى و بدأ يهذى بكلمات غير مفهومة عن أشباح و عن الساقية .. أثبت التشخيص وجود كسر مضاعف في قدمه اليسرى .. حشروا قدمه في الجبس شهراً .. أبلغوه أنه

سيعرج بعد فك الجبس لأنه تأخر كثيراً في علاج أصابته .. تحولت حياته بعدها للأسوأ لفترة ليست بالقصيرة .. خطيبته هجرته .. قالت أنها لن تتزوج من رجل أعرج .. الأرض تم أهمالها لفترة بعد غياب صاحبها عنها .. حمدان رجع بعد مدة طويلة إلى حياته و إلى عمله .. عاد أكثر شجاعة من قبل رغم قدمه العرجاء .. لا يخاف من أى شئ .. الغريب أنه كان يصر على الذهاب إلى حقله ليلاً ليسقى زرعه قبل الناس .. يمر من نفس الطريق بلا خوف .. يواجه الناس بأن كل حكايات الساقية المهجورة مجرد أوهام خلقوها .. و أنها سبب ما حدث له .. و لكن أهل القرية لا يصدقونه .. يقولون أن شبح المرأة أخذ قدم حمدان ، و أخذ معها عقله .. و لكنها كانت رحيمه به .. لم تأخذ حياته .. و ما زالوا يضيفون قصة حمدان إلى عشرات القصص التي لا تنتهى عن الساقية المهجورة

العصبى

كان الجميع يعلم أنه عصبى .. هذه ليست المشكلة .. المشكلة أنه كان يعترف بهذا .. كان يعترف أنه عصبى .. سريع الأستثارة .. و مندفع .. و لكنه لم يحاول تغيير ذلك أبداً .. كان ينتابه الغضب و يندفع في السباب كالسيل العارم لأتفه الأسباب .. و أحياناً بدون أسباب تذكر .. يفقد أعصابه بسهولة فيثور دون أن يبالى بالعواقب .. برميل من البارود قابل للأشتعال في أى لحظة كما يحلو للبعض أن يصفه .. تلك كانت طبيعته المميزة .. و هكذا مضت حياته .. مشاكل له .. و مأساة للآخرين ممن أوقعهم حظهم العاثر في دائرة التعامل معه .. جيرانه يخشون الأقتراب منه بعد أن علمتهم التجارب أن الأحتكاك به ينتهى دوماً بنتائج وخيمة .. زملائه في العمل يواصلون الشكوى منه .. و أصدقائه يتناقصون تدريجياً عاماً بعد آخر .. صحيح أنه يتمتع بصفات كثيرة جيدة .. فهو كريم و " شهم " كما يراه أصدقائه .. و" قلبه أبيض " كما تؤمن زوجته .. و لكن تلك الصفات لم تحسن من صورته كثيراً أمام الناس .. و لم يكن هو يهتم بتحسين صورته على أى حال .. فآراء

الناس لم تعد تعنيه .. حيث يعيش على طبيعته كما يؤكد .. و يزعم دوماً أن تصرفات الناس وأفعالهم الخاطئة هى ما تستثير غضبه

حتى مساء أحد الأيام .. كان يشاهد مباراة لكرة القدم .. و فريقه كان مهزوماً .. أنفعل بشدة مع المباراة و نسى نفسه .. و مع أهدار أحد اللاعبين لفرصة تسجيل هدف .. أندفع يكيل الشتائم بدون وعى للاعب .. و لفريقه .. و لكرة القدم كلها . عندما أنتهت المباراة أغلق التلفاز .. أقترب منه أبنه الصغير الذي لم يتعد عمره خمس سنوات .. حضنه بحنان .. رفع الولد رأسه إلى أبيه بفضول .. نظر إليه في براءة قبل أن يسأله " بابا .. يعنى أيه ابن ال .... ؟"

صعقته المفاجأة .. لم يصدق ما سمع .. لم يلاحظ أن أبنه الذي كان يلهو ببعض اللعب أمام التلفاز قد سمعه .. بل و حفظ كلماته .. أو بالأصح شتائمه .. و تفاجئ بسؤاله .. لم يجد أجابة تسعفه و لم يدر كيف يتصرف فوقف أمام أبنه عاجزاً .. ندم على أنه تفوه بهذا اللفظ .. و رأى شريط حياته أمامه بكل مشاكلها التي سببها الغضب .. تطلع إلى إبنه بشفقة .. و لأول مرة لم يتمنى أن يشب أبنه مثله .. لم يرغب أن يزرع في أبنه نفس صفاته السيئة

لم يستطع النوم طوال الليل .. ظل يفكر طويلاً .. يحاسب نفسه حساباً عسيراً و يعاتبها .. في الصباح كان قد عقد العزم على أمر ما .. قرر فجأة أن

يـتغير .. شـعر أن الغـضب يـسلبه عقلـه بالفعـل وأنتابـه نـدم لأول مـرة في حياته .. ندم حقيقى ليس فقط على كل المواقف المحرجـة الـتي سـببتها لـه عـصبيته الزائـدة و لحظـات تهـوره .. بـل و للمـشاكل الـتي سـببها هـو للآخرين .. سهر طوال الليل يفكر .. يلوم نفسه و يحاسبها بقـسوة .. كيـف سمح لنفسه أن يقع تحت رحمة الغضب ، أن يجتاحه لهذا الحد .. كيـف لا يستطيع أن يحفظ لسانه حتى أمام أعز الناس لديه .. صمم على أمر ما و قـرر تنفيذه بلا تردد .. يتذكر أن أحد أصدقائه المقربين تحداه مازحاً من قبل بـأن ينجح في قضاء و لو يوم واحد من حياته بلا مشاكل .. بل توقع له الفشل التام و راهنه بشدة على أنه لن يتمكن من ذلك .. فكر فيما قاله بجد تلك الليلـة .. هل من الصعب حقاً عليه أن يقوم بأمر مماثل .. لما لا يجـرب أن يقـضى يومـاً واحداُ فقط من حياته بلا غضب .. ربما خطوة صغيرة علـى الطريـق الـصحيح للتخلص من تلك الحالة التي تفحلت لتسيطر عليه .. فكرة رغم بساطتها قـد تكون خطوة أولى قد تغير مجرى حياته بأكملـها .. سـيتعلم أن يـسيطر علـى أعصابه أكثر .. أن يمنع نفسه من الغضب .. لـن يثـور لأي سـبب و لـن يـدع غضبه يتحكم به .. لن يتبادل السباب أو ألقاء اللعنات جزافاً على أى شئ أو شخص يستفزه .. و سينجح في الحفاظ على هدوء أعصابه تحت أى ظـرف .. راهن نفسه على النجاح .. أن يكون شخص مثالى و يدع يوماً واحداً من حياته

يمر بسلام .. بلا مشاكل من أى نـوع .. لـن يكـون الأمـر صـعباً .. و سـيثبت لنفسه أنه قادر على أن يكـون أنـساناً أفـضل إذا حـاول .. صـمم علـى خـوض التجربة مهما كانت نتائجها .. و في الصباح نهض بتفاؤل كبير على النجاح

تناول أفطـاره في حمـاس .. قبـل أبنـه الـصغير بحنـان قبـل أن ينـزل .. زوجته لم تراه مبتسماً هكذا من قبل .. بخاصة في بداية يومه .. طلبـت منـه مبلغاً أضافياً من المال .. منحها أياه بدون أن يـسألها عـن الـسبب كالمعتـاد .. أسرع بالخروج و قد دب نشاط غريب في جسده..

قبل أن يخطو نحو المصعد .. تعثر بشئ ما .. كاد أن يسقط على وجهـه .. نهض بسرعة و تطلع بغضب ليرى ماهية الشئ الذي تعثر به .. لم يكن سوى كيس القمامة الخاص بجاره .. وضعه في منتصف الردهة و لـيس أمـام شـقته كما يفترض .. أحـس بالـدماء الحـارة تـسرى إلى عروقـه بـسرعة و الغـضب يجتاحه .. و لكنه تمالك نفسه .. تذكر أنه قطع وعداً لنفسه أن يكـون مثـالى اليوم .. أغمض عينيه محاولاً أسترداد هدوئه .. و تذكر فجـأة نـصيحة أحـد أصدقائه .. أن يحاول جاهداً ألتماس الأعذار للنـاس قبـل أن يثـور علـيهم .. واصل التنفس بعمق .. أقنع نفسه بسرعة أن جاره ربمـا قـام بـذلك عـن غـير قصد ، أو ربمـا أحـد الأطفـال الأشـقياء عبـث بـالكيس و ركلـه إلى منتـصف الردهة .. شعر بالأرتياح قليلاً لتفسيره الأمرعلى تلك الصورة .. و بعد ساعة

أو أقل سيخرج جاره على أى حال إلى عمله الصباحى و بالتأكيد سيعيد كيس القمامة لمكانه .. سرعان ما تمالك رباطة جأشه .. زفر أنفاسه بعمق .. و أنتابه شعور بالراحة لنجاحه في كبت تيار غضبه قبل أن يتافقم

توقف أمام المصعد و ضغط المفتاح .. أنتظر طويلاً .. المصعد لا يتحرك من الطابق الأول .. تريث فترة أطول بلا جدوى .. قرر أن يهبط على الدرج .. لايضايقه أكثر من أستخدام الدرج فهو ليس شخصاً رياضياً بطبعه .. ربما أصاب المصعد عطل مفاجئ .. هكذا قال لنفسه .. في الطابق الأول لمح طفلين من أطفال الجيران يلهوان داخل المصعد و قد تركا بابه مفتوحاً .. أغتاظ بشدة .. لم يجد عذراً تلك المرة كى يبرر فعلتهما .. هم أن يتوجه إليهما و يعنفهما بشدة .. أنكمش الطفلان خوفاً عندما لمحوه متجهاً نحوهما .. يعرفانه جيداً .. تقدم منهما ببطء و هو يلهث ، سيطر على أعصابه بشدة حتى لا تنفجر .. نظر إلى كل منهما ببرود .. تمالك نفسه وغادر بسرعة بينما تطلع الاطفال كل منهما للآخر بعدم تصديق

توجه مسرعاً نحو سيارته الصغيرة .. كم يعشق تلك السيارة المتهالكة رغم أعطالها المتكررة في الفترة الأخيرة .. يعتنى بها كثيراً منذ ورثها عن أبيه ، يعشقها ويخاف عليها .. بل و يكلمها أحياناً و كأنها تفهمه .. عبر الشارع .. لم يدرك أن هناك مفاجأة أخرى في أنتظاره .. لمح أثنان من المراهقين

يجلسان على مقدمة السيارة التي لا تتحمل ثقل وزنيهما خاصة و أن أحدهما بديناً .. تحركت بوادر الحرب داخل نفسه .. تسمر في مكانه لدقيقة يحاول أن يسيطر على أنفعالاته الثائرة بصعوبة .. أطرق للأرض يتنفس بعمق ، و لأنه قرر أن لا يثير مشاكل من أى نوع ، لم ينقض عليهما كالصاعقة و يلقنهما درساً كما كان معتاداً أن يفعل في مواقف كتلك .. أقترب من السيارة و طلب منهما بأدب أن ينزلا عن مقدمتها .. تطلع إليه أحدهما بأستهتار .. نهضا و أنصرفا بكسل .. تمنى لو يلحق بهما بسيارته و يدهسهما .. لم يحاول أحدهما حتى أن يعتذر .. نظر إلى سيارته العزيزة في شفقة .. تحسسها برفق .. لاحظ أن السيارة ما زال يعلوها التراب .. تذكر أنه أعطى البواب نقوداً بالأمس لكى يغسل السيارة .. البواب الكسول المخادع تجاهله .. هكذا قال لنفسه .. هم أن يتوجه إليه و يفرغ شحنة الغضب التي تتملكه الآن فيه .. في منتصف الطريق تذكر أن البواب كان يسعل بشدة عندما رآه بالأمس .. ربما لم يغسل سيارته لأنه كان مريضاً و ليس كسلاً منه كما ظن .. تريث لبرهة .. عليه أن يكون أيجابى و يلتمس الأعذار للناس .. تسمر في مكانه ، هز رأسه في حيرة .. أنسحب عائداً لسيارته .. سيطمئن عليه عندما يعود .. و السيارة لن يضرها بأى حال أن تبقى يوماً آخر بلا تنظيف .. نظر إلى زجاج السيارة .. أحد الظرفاء أستغل تراكم التراب عليه و

قام برسم بعض الأشكال و الكلمات عليها .. مسحها بكل هدوء

ركب السيارة و أنتظر قليلاً حتى " يسخن " محركها .. قبل أن يغادر قطعت عليه فجأة سيارة كبيرة الطريق .. شاحنة نقل توقفت أمام سيارته تماماً لأفراغ بعض البضائع .. لم يستطع أن يتحرك .. قطب حاجبيه في غضب يدرك بوادره .. من المؤكد أن السائق أعمى أو لا يدرك أصول القيادة كى يصف سيارته أمامه بذلك الشكل الفج .. هكذا قال لنفسه .. تذكر موقف مماثل حدث من عدة أيام .. لم يترك السائق إلا بعد أن" مسح بكرامته الأرض" .. لا يريد أن يكرر نفس السلوك العنيف مجدداً .. لن يضره بعض الأنتظار بأى حال .. تمهل في سيارته طويلاً حتى أفرغت سيارة الشحن حمولتها .. أنطلق بعدها إلى عمله حانقاً

فى العمل أنهمك بكل حواسه في دراسة بعض الملفات و أنهاء بعض الأوراق الهامة .. أثناء أنشغاله جاءه الفراش بكوب الشاى الذي طلبه .. هم بوضع الكوب أمامه حين ناداه أحد زملائه .. ألتفت إليه بقوة فأصطدم بالفراش الذي يقف بجانبه تماماً .. أنساب السائل الساخن فوق الملفات ، بينما أنسكب جزء منه على ساقه .. أنتفض من الألم .. نظر بحسرة إلى الأوراق التي غرقت في السائل الداكن .. أحمرت عيناه من الغضب بينما وقف الفراش يتطلع إليه في رعب حقيقى و يتوقع رد فعله العنيف فهو يعرف

طباعه جيداً .. للحظات تخيل أنه على وشك أن ينقض على الفراش المسكين و يمزقه بأسنانه .. سحب نفساً عميقاً و زفره ببطء .. ظل يتنفس في قوة حتى يهدأ .. تمالك نفسه بصعوبة .. بدأ في تنظيف المكتب بينما هم الفراش بمساعدته مواصلاً الأعتذار إليه بخوف و جسمه ينتفض .. أشاح له بالأنصراف ، فلو بقى أمامه طويلاً لتغير رد فعله بالتأكيد .. أنصرف الفراش و هو لا يصدق أنه نجا .. بينما نظر إليه زملائه في العمل بدهشة .. لم يعتادوا منه أن يفوت مثل تلك الفرص لتنفيث غضبه الكامن .. قام ينظف ثيابه و عاد للعمل بعد عدة دقائق و وجهه محتقن بشدة

كان الجو حاراً .. و رغم المروحة التي تعمل بكل قوتها إلا أن الجو داخل المكتب ظل خانقاً .. توجه لتصوير بعض الأوراق الهامة .. أنقطعت الكهرباء فجأة .. رجع ساخطاً .. بدأت قطرات من العرق تنساب منه بينما آلمته عيناه و هو يراجع الملفات بعد أن أصبحت نافذة صغيرة يأتى منها ضوء الشمس هى المصدر الوحيد للأضاءة داخل الغرفة المغلقة .. أستدعاه مديره .. أعطاه مزيد من الأوراق و طلب منه بسرعة مراجعتها لأن أحد زملائه تغيب عن العمل .. هم برمى الأوراق في وجهه مهما كانت عواقب ذلك الفعل .. أراد أن ينفجر فيه فكيف يقوم بكل هذا العمل في مثل ذلك الجو الخانق .. و لكنه بدلاً من ذلك تناول الأوراق مغتاظاً بلا كلام و خرج ..

مرت ساعات من المعاناة في العمل .. قرر الأستئذان مبكراً .. عليه أن ينهى بعض الأوراق الخاصة بنقل أبنه من مدرسته القديمة إلى مدرسة أخرى جديدة بجوار منزله .. الطريق كان مزدحماً بشدة .. أثناء مروره بأحد الشوارع لمح سيدة و معها أطفالها الثلاث يحاولن بيأس عبور الطريق .. توقف بسيارته ليسمح لها بالعبور .. فاجأه كم هائل من أبواق السيارات الغاضبه وراءه لتعطيله المرور .. بينما قام بعض السائقين بتوجيه سيل من الشتائم له .. غلت الدماء في عروقه .. قرر أن يترجل من سيارته و يرد لهم الصاع صاعين .. ثم تذكر أنه يرغب أن يمر اليوم بسلام .. كبت ثورته التي توشك على الأنفجار و أنطلق بالسيارة مرة أخرى وسط سباب الكثيرين الذي يصل واضحاً لمسامعه .. عندما وصل إلى المدرسة الجديدة .. سأل عن الموظف المسؤول لتسلميه ملف أبنه .. أخبروه أنه غائب .. تلك ثالث مرة يترك عمله و يأتى ليتفاجئ به غير موجود .. سأل أقرب موظف له بنفاذ صبر لما لا يحل موظف أخر مكان زميلهم الغائب و يتولى عمله ، خاصة و أنه يرى العديد منهم بالفعل داخل المكتب بلا عمل .. نظر إليه الموظف ببرود قبل أن يرد عليه بأن جميع زملائه مشغولون بأعمالهم ! .. أراد أن ينفجر فيهم جميعاً .. تذكر أبنه .. سحب الملف و هو يرمقهم بنظرات نارية و خرج خائباً ، خالى الوفاض مجدداً

فى طريقه للمنزل أتصلت به أخته .. أخبرته أن أمه مريضة .. أنطلق إلى بيتها على الفور .. عندما وصل أسرع ليطمئن عليها .. سألها عن صحتها بخوف ، و مدى ألتزامها بتعليمات الطبيب .. تأكد أنها تتناول الدواء الذي وصفه لها الطبيب بأنتظام ، ما سبب تراجع صحتها إذن .. لاحظ ظهور بضع بقع حمراء على جلدها.. لا بد أنه من آثار الدواء الجديد .. لعن الطبيب في سره .. أخبره من قبل أن والدته تعانى من الحساسية من مكونات بعض الأدوية .. رافق والدته للطبيب مرة أخرى .. في العيادة تأخر الطبيب كالعادة بينما أصطف المرضى لأنتظاره طويلاً .. جلس على مقعد متهالك و بجواره والدته المسنة .. نظر بأشمئزاز إلى العيادة غير النظيفة و إلى الأثاث البالى .. تعجب لما لا يهتم الطبيب بعيادته قليلاً رغم أنه يجنى الكثير من المال .. زاد حنقه على الطبيب و لكنه تمالك نفسه حرصاً على والدته .. وصل الطبيب أخيراً .. أنتظر طويلاً و أضطر أن يدس في يد الممرضة مبلغاً من المال خلسة لتسمح له بتجاوز طابور المرضى الطويل .. كشف الطبيب على والدته و وصف لها دواءاً جديداً .. ضايقه بشدة أن الطبيب لم يحاول حتى أن يعتذر عن وصفه لدواء خاطئ من قبل و كأنه أمر طبيعى أعتاد القيام به .. تمنى في تلك اللحظة أن يحطم رأس الطبيب و معها عيادته المتواضعة .. بداخله حاول ألتماس الأعذار للطبيب نتيجة لمشاغله الكثيرة .. و لكنه لم ينجح و رفض

عقله بلا وعى كل الأعذار التي حاول أختلاقها .. غادر العيادة و هو أكثر حنقاً محاولاً منع نفسه من القيام بأى رد فعل متهور كما أعتاد .. أتصلت به زوجته .. و طلبت منه شراء بعض الطلبات الأخرى .. قام بمرافقة أمه للمنزل .. أطمئن عليها و أنطلق لشراء الطلبات..

في الطريق توقف أمام أشارة ضوئية مزدحمة .. أمامه سيارة فارهة يركبها شاب لا يتعدى عمره العشرين و بجواره فتاة في مثل سنه بينما صوت الموسيقى العالى ينساب من السيارة ليصم الآذان .. يتبادلان الضحك بمجون ، و يميل عليها كثيراً و كأنهما وحدهما و ليس في طريق عام .. تطلع نحوهما بعض سائقى السيارات المنتظرة في فضول نهم .. و بعضهم في حنق واضح على تصرفاتهما .. أنتظر في الأشارة طويلاً .. عندما أضاء الضوء الأخضر أخيراً أستعد للأنطلاق .. و لكن الشاب في السيارة الفارهة أمامه لم يتحرك .. ما زال يميل على الفتاة و يضحكان .. أطلق نفير السيارة عدة مرات و لكن الشاب لم ينتبه .. أنطلقت أبواق السيارات خلفه في غضب لتصم آذانه .. عندما أنتبه الشاب أخيراً نظر وراءه للسيارات المنتظرة بلا مبالاة .. أنطلق ببطء بينما يتحول لون الأشارة من البرتقالى إلى الأحمر ..أضطر للتوقف بينما عبر الشاب .. ضرب المقود في غضب .. فكر في كسر الأشارة الحمراء و الذهاب وراء الشاب ليحطم رأسه و سيارته اللعينة معاً .. منع نفسه بصعوبة من

أرسال كم هائل من الشتائم كما فعل العديد من سائقى السيارات خلفه .. عليه الأنتظار مرة أخرى حتى تفتح الأشارة مجدداً في صبر

تذكر أنه لم يدفع فاتورة الماء و الكهرباء .. أنتظم في طابور طويل حتى سدد فاتورته .. عندما أنتهى عاد إلى سيارته .. أكتشف أن الأطار الأيمن للسيارة فارغ .. ربما بسبب مسمار أو زجاج مكسور، أو أحد تلك المخلفات غير المعروفة و التي تتناثر بكثرة على طول الطريق .. كتم أنفاسه في ضيق .. لم يكن معه أطار أحتياطى .. ركن السيارة و أستقل تاكسى بعد فترة أنتظار طويلة تحت لهيب الشمس .. في الطريق .. أصر السائق على تشغيل أحد الأغانى الشعبية الهابطة بصوت عال بينما يواصل تدخين سيجارته في شراهه .. نظر للسائق بنفاذ صبر .. تضايقه رائحة السجائر .. بينما تؤلمه أذنه من صوت الأغنية الرديئة .. تذكر آخر مرة حدث له موقف مماثل .. تلقى السائق درساً قاسياً و أنتهى الأمر بهما إلى الشرطة في النهاية ، و عاد إلى بيته في المساء بعين متورمة و لكن بعد أن لقن السائق درساً لا ينساه .. لا يريد أن يتكرر الأمر مرة أخرى .. ما زال يتمالك أعصابه بنجاح .. يسرح بأفكاره .. اليوم لم ينتصف بعد و قد أحس أن أصراره على أن يكون مثالياً أمراً صعب للغاية ، أصعب بكثير مما كان يتوقع .. و لكنه ما زال متماسكاً .. نزل في مقدمة الشارع الذي يسكنه .. عليه شراء بعض الطلبات ، لا يدرى لما

تطلب منه زوجته كل تلك الأغراض اليوم .. يحس بصداع رهيب .. ربما بسبب الحر .. أو بسبب أكواب القهوة الكثيرة التي تناولها في العمل دون تناول أفطاره .. في الطريق .. تفاجئ بمقابلة صديق قديم لم يره منذ فترة طويلة .. رحب به بحرارة .. أصر الصديق على الجلوس معه قليلاً لمعرفة أحواله .. أصطحبه لمقهى مجاور .. جلسا على الناصية بينما أنهمر الصديق في سرد ذكريات حياته دون أن يدع له أى فرصة للكلام .. الصداع يزداد .. على الناحية المقابلة للشارع الذي يقوم عليه المقهى رجل يقوم بأشعال النار في صندوق القمامة الممتلئ .. يتصاعد دخان أسود كثيف من الصندوق بينما يحمل الهواء الدخان الكثيف إلى حيث يجلس .. يسعل بشدة ويحس بالأختناق .. هم بالذهاب وراء الرجل و الأعتداء عليه .. كيف يفعل ذلك وسط منطقة سكنية .. و لكنه فكر قليلاً .. فهو نفسه أحياناً يقلده كحل أخير بعد أن تتراكم أكوام القمامة أمام العمارة و تتأخر البلدية في جمعها .. يتلاشى غضبه و لكن الدخان الخانق يعمى بصره .. لا يستطيع التنفس .. ينتهز الفرصة و يستأذن صديقه في الأنصراف .. يتنفس الصعداء لأنه تخلص من حديثه الممل .. يسرع لشراء الطلبات .. تفاجئ بأرتفاع أسعار معظم السلع .. جن جنونه .. ليس من المنطقى أن تزيد الأسعار بين يوم و ليلة بهذا الشكل .. يقولون أن سعر وقود السيارات زاد و كنتيجة له زادت الأسعار ..

لا يصدق تلك الحجج الحمقاء .. لـو أسـتمر الحـال هكـذا فلـن يكفيـه راتبـه قريباً .. خرج حانقاً..

الصداع يزداد ضراوة .. توجه إلى منزله و قـد بـدأ الظـلام يعـم المكـان .. الأكياس ثقيلة بينما نال الأعياء منـه تمامـاً .. يـراه أحـد جيرانـه .. يـسرع للسلام عليه و تبادل قليل من الحديث معه حول مشكلة ما خاصـة بالـصيانة داخل البناية .. يلعن جـاره في سـره .. ألا يمتلـك عينـان لـيرى بوضـوح كـم الأكياس الثقيلة التي يحملها .. أضطر للتوقف معه قليلاً من باب الأدب و هو يهز رأسه موافقاً على كل كلمة يقولهـا ليـسرع بانهـاء الحـديث .. أنـصرف بعدها الجار دون أن يعرض عليه حتى مساعدته في حمل الأكياس .. تمنى لو رجع إلى طبيعته المتهورة مع جاره لـدقائق ليلقنـه درسـاً لا ينـساه .. أنطلـق ببطء إلى المنزل .. البواب يسقى الزرع قريباً من مدخل العمارة .. لا يبدو عليه المرض .. يسأل نفسه لما لم يغـسل الـسيارة إذن في الـصباح طالمـا صـحته تبـدو جيدة .. ربما هناك عذر آخر .. لم يهتم .. حاول تجاهل الأمـر وتقـدم بـبطء نحو باب المصعد و هو يلـهث .. أنتظـر طـويلاً .. لم ينتبـه إلى وجـود ورقـة معلقة تفيد بأن المصعد معطل .. عندما قرأها ، أندفع الدم في عروقه بقـوة مـن الغضب ..لا شك أنه نتيجة لعبث الأطفال صباحاً .. لو كان نهرهما في الصباح لما حدث ذلك .. أضطر إلى صعود السلالم .. وصـل إلى الطـابق الخـامس حيـث

منزله لاهث الأنفاس بينما يتصبب العرق الغزير منه .. يحس بصداع رهيب .. وصل أمام بيته خائر القوى تماماً .. و لكنه كان سعيداً .. لأول مرة منذ فترة طويلة يعود لبيته بدون مشاكل .. يمر يومه بسلام .. لم يسمح لأى أحد ، أو لأى ظرف أن يستثير أعصابه و يخرجه عن شعوره اليوم .. لم يقم بأى رد فعل متهور أو أحمق .. نجح في أن يدع يوماً واحداً من حياته يمر بسلام أخيراً

يتقدم نحو شقته بسعادة و أعياء .. يشم رائحة غريبة .. يلاحظ أن كيس القمامة الخاص بجاره ما زال في مكانه وسط الردهة و قد عبثت به بعض الحيوانات فتمزق و أنبعثت منه رائحة كريهة تملئ المكان .. لم يهتم .. يحس بالصداع يزداد .. يخرج المفاتيح بصعوبة .. كل ما يحلم به في تلك اللحظة حمام دافئ يزيح به تعب اليوم ، و ووجبة ساخنة من يد زوجته الجميلة ، و قبلة على جبين أبنه الصغير .. يفتح باب الشقة بأعياء .. المكان غارق في الظلام .. يحاول أشعال الضوء و لكن بلا فائدة .. مشكلة ما في الكهرباء كما يبدو .. و لكن الأنوار مضاءة في الردهة الخارجية .. هناك عطل ما في الكهرباء داخل شقته فقط .. يغتاظ من العطل المفاجئ .. يبدوالمنزل خاوياً على غير المألوف .. أين ذهبت زوجته .. ربما خرجت لأمر ما .. ينادى البواب ليعرف سبب المشكلة ، يحمل الأكياس للداخل .. في تلك

اللحظة يتمزق أحد الأكياس فجأة و تتناثر محتوياته في كل مكان .. كان أمراً عادياً يحدث كثيراً .. و لكنه لم يستطع أن يتمالك نفسه و هو يرى بعض الفاكهة التي أرهق نفسه في أنتقائها تختلط بكيس القمامة الممزق خارج الشقة .. في تلك اللحظة لم يستطع التفكير.. حاول و لكنه لم يستطع .. و أنفجر بركان الغضب بداخله .. و لم يستطع منعه .. لم يشعر بشئ سوى بالدماء تندفع إلى عينيه و تصبغ كل شئ باللون الأحمر .. و بدخان كثيف يتكون بداخله يجب أن يجد منفذاً .. ركل الباب بعنف بينما أندفع في السباب بقوة .. أنطلقت اللعنات كالرصاص .. بدأ بالبقال الذي أعطاه أكياس غير صالحة ثم بجاره .. أنطلق يطرق باب جاره بقوة دون رد .. يكيل له الشتائم بغيظ .. لكن يبدو أنه غير موجود .. زاد غضبه و هياجه .. أندفع يلعن كل شئ .. توجه للدرج يسب البواب الذي يصعد السلالم ببطء شديد .. في تلك اللحظة ، ينتبه فجأة على الأنوار و هى تضاء داخل منزله .. يلتفت إلى زوجته التي تقف في منتصف الشقة و حولها مجموعة من أقاربه و أصدقائه .. تمسك بيديها كيكة كبيرة مكتوب عليها أسمه بينما الزينة تملأ جنبات منزله .. تذكر أن اليوم عيد ميلاده .. نسى ذلك تماماً .. زوجته أرادت صنع مفاجأه خاصة له .. تعلم أنه يحب المفاجأت كثيراً .. لم يتوقعها حقاً .. تسمر الجميع في أماكنهم و هم ينظرون إليه بدهشة بعد فاصل السباب

الذي أندفع منه ، و أنطلق من فمه بلا حساب .. تجمد في مكانـه للحظـات .. لم ينبس بكلمة .. تقدم أبنه الصغير منه .. حضن أبيـه في لهفـة .. أحتـضنه في عطف و هو ينظر للآخرين بخجل .. رفع الولـد رأسـه لأبيـه ، و سـأله في منتهى البراءة : " بابا .. يعنى أيه أولاد ال.. اللى قلتها من شوية "

البطل

قلبه يرتجف .. رعشة تسرى في أطرافه و لكنه يتقدم بثبات .. يقترب من الهدف .. تراءى له القصر من بعد .. قصر أشبه بالحصن يقف شامخاً .. الحراس في كل مكان .. يمسكها جيداً .. يمنى نفسه بأن لحظات و ينتهى الأمر.. على بعد دقائق من النصر الذي حلم به هو و شعبه .. مقر الحاكم يقع على بعد مائة متر .. الديكتاتور المستعمر الذي طالما أذل شعبه و ذاق الناس من ظلمه الكثير .. مستعمراً جاء ليستنزف خيرات وطنه .. يحيط نفسه بمجموعة كبيرة من الحراس ليلاً و نهاراً .. يحمونه من بطش الشعب .. قوته الغاشمه التي تساعده على فرض سيطرته و جبروته أكثر على الناس .. سنوات طويلة و الناس تحلم بالخلاص منه .. يده تلوثت عبر سنوات حكمه الظالم بدماء العديد من الأبرياء .. و سجونه ما زالت تزخر بالكثير من المعارضين .. شعب مسكين يتردى تحت الفقر و يأن تحت وطأة الحرمان .. بينما تزداد ثروته .. يقضى على أى شخص يمكن أن يهدده أو يقف في طريقه بلا رحمة .. يزداد ظلمه مع السنوات .. وصل الناس إلى مرحلة اليأس تحت

حكمه .. يتمنون هلاكه .. محاولات كثيرة قام بها شباب و رجال لأغتياله و لكنها أنتهت كلها إلى الفشل .. ككل مستبد هو .. يجيد حماية نفسه

تلك المرة تم تخطيط كل شئ مسبقاً بشكل جيد .. كان يعمل بستانياً في قصر الحاكم .. أستمر فترة طويلة في عمله حتى بدأ الحراس في الوثوق به .. ثلاث سنوات كاملة ينتظر الفرصة المناسبة .. عندما جاء إلى القصر كان يمنى نفسه فقط أن تتاح له الفرصة لقتله و هو يتجول في الحديقة .. أو يتسلل داخل القصر ليقتله .. و لكن لم تتاح له الفرصة لذلك أبداً .. دائماً يفرغ حراسه الحديقة من العمال عندما يعتزم التجول فيها.. و القصر ممنوع لأحد الأقتراب منه .. لم ييأس .. أستمر في عمله مظهراً أخلاصاً لا مثيل له .. لا يعلمون أنه ينتمى لأحد الجماعات السرية التي تقاوم الحاكم .. شجاعته و قوته دفعتهم للوثوق به في مهمة صعبة كتلك .. و رغم فشل مخططه لكنه أستمر بدراسة تحركات الحاكم جيداً .. لاحظ أن الحاكم يحب الزهور النادرة .. يحتفظ بمجموعة من الزهور الغريبة و النادرة حقاً في ركن خاص في الحديقة أسفل شرفته مباشرة .. يتولى رعايتها و يشرف عليها بنفسه .. خصوصاً تلك النباتات المستوردة من بلده .. يوليها أهتمام غير عادى .. و عند سفره أو أنشغاله يترك مهمة تنسيقها للبستانى الذي سبقه .. الوحيد الذي يسمح له بالأقتراب من القصر .. واتته يومها فكرة .. بدأ بالقراءة عن تلك

الأزهار .. تقرب من البستانى السابق للأستفاده من خبرته .. و عندما مرض البستانى .. لم يجدوا أفضل منه لرعايتها .. وثقوا به .. أصبح مسموحاً له بالأقتراب من القصر .. أعجب به الحاكم بعد أن أهداه يوماً أحد الزهور النادرة .. أشتراها بمبلغ كبير حقاً بعد أن قرأ عنها الكثير .. داوم كل فترة على أهداءه بعض من تلك الأزهار .. يضعها في أناء و يحملها إلى القصر .. في البداية كان الحراس يقومون بتفتيشه بشكل صارم .. أحياناً يكسرون أناء الورد للتأكد من عدم أحتواءه على شئ .. ثم بدأوا في الوثوق به .. مع مرور الأيام داوم على عمله بكفاءة حتى لم يعد يثير الشبهات .. ينسق الزهور تحت أشراف أحد الحراس في ركن خاص بها من الحديقة تقع فوقه شرفة واسعة تطل على حجرة الطعام الرئيسية .. يهوى الحاكم عادة تناول الأفطار في الشرفة صباحاً مع أسرته ثم الخروج للحديقة للتمتع برائحة زهوره و تفقدها .. تعرض عليه بعض التقارير أحياناً و هو جالس في شرفته .. شهور طويلة مرت .. أطمئن أن الحراس بدأوا في الوثوق به .. كون علاقات صداقة مع بعضهم .. يتمتع بخفة ظل كبيرة ساعدته على الأمر .. قرر أن يشترى أناء ورد كبير .. وضع بداخله قنبلة .. غطاها بالطين و زرع داخل الأناء نوع جديد من الأزهار .. زهرة برية نادرة .. بينما أخفى جهاز التحكم عن بعد الخاص بالقنبلة تحت ملابسه .. ثم أنطلق يحملها إلى القصر..

تقدم إلى الحراس بثبات .. قلبه يرتعش .. لو أشتبهوا في أمره و فتشوه فهذا معناه ليس هلاكه فقط .. بل و هلاك أسرته كلها أيضاً .. أقترب بهدوء .. أوقفه أحد الحراس .. يسأله عن ما يحمله .. يبلع ريقه بصعوبة .. يبتسم في وجهه و يبدأ في المزاح معه .. يخبره أنها قنبلة .. يضحك الحارس .. يتبادلا المزاح معه قليلاً ثم يسمح له بعبور البوابة .. يتقدم ببطء .. يده ترتجف و هو يمسك أناء الورد .. لا يلاحظ الحارس الذي يتقدمه أرتباكه .. يتماسك بصعوبة و يستعيد رباطة جأشه .. يتذكر دم الشهداء ممن ماتوا من أجل تلك اللحظة .. يسيطر على توتره .. يدلف إلى الحديقة ويقترب من الشرفة المنشودة .. سيستيقظ الحاكم بعد ساعة تقريباً .. يحفظ كل مواعيده .. يراقبه الحارس و هو يقوم برى بعض الأزهار و تقليم بعضها الآخر .. يضع أناء الورد الجديد في مكان بارز .. بالتأكيد سيلفت نظر الحاكم الزهرة الجديدة .. أنتهى من عمله و هو يتصبب عرقاً .. وقف في الحديقة على بعض أمتار من القصر يتظاهر بقص بعض الاعشاب الضارة .. ينقل بصره كل فترة بين الساعة لأستطلاع الوقت ، و بين شرفة الحاكم مترقباً بقلق ظهوره فيها

ظل يراقب القصر بحذر .. كل ثانية تمر عليه تزيد توتره .. مستقبله و مستقبل أمته قد يتعلق بتلك اللحظة .. الدقائق تمر عليه ثقيلة و يزداد

خفقان قلبه معها .. يرى حركة في القصر .. لا بد أن الديكتاتور أستيقظ .. يسرع كل من في القصر لخدمته كالعادة .. يلمح بعض الخدم في غرفة الطعام .. سيتناول الحاكم أفطاره الآن .. يتمنى أن تسير الأمور كما خطط لها .. لحظات و يدخل التاريخ كبطل رفع الظلم عن قومه .. أو على الأقل كشهيد حاول ذلك .. يحلم بالمجد .. تاريخ أجداده ملئ بالشهداء ممن ماتوا و هم يدافعون عن راية الوطن المغتصب .. سيكمل مسيرتهم الأسطورية و سيخلد سيرته الناس .. هدأت الحركة .. الحاكم الآن يتناول أفطاره هو و أسرته في الشرفة .. القنبلة كافية لتدمير الشرفة بمن فيها .. و لكن ما ذنب أسرته ، و بعض خدمه .. سينتظر حتى يهبط للحديقة كعادته كل صباح .. لم يشعر أن وقوفه قد طال وتوقف عن العمل .. أرتاب به أحد الحراس .. أقترب منه .. بدأ الأرتباك يعاوده و لكنه يتمالك رباطة جأشه بسرعة .. يسأله الحارس بغلظة عما يقوم به .. أخبره أنه يقوم بأنتزاع بعض الأعشاب الضارة .. طلب منه الحارس بحدة أن يغادر المكان .. الحارس جديد لا يعرفه .. رأى أحلامه تنهار .. يجب أن يكون على مسافة قريبة من القنبلة كي يعمل الريموت الخاص بها .. تطلع للحارس مجدداً .. ملامح الجد تعلو وجهه .. الحاكم يبدو أنه أنهى طعامه .. سينزل للحديقة بعدها .. يفصله عن حلمه لحظات .. و هذا الحارس الأحمق قد يقضى على الحلم .. ينهى

بطولته قبل أن تبدأ .. الحارس بدأ يرتاب فيه أكثر.. تظاهر بأنه أنصاع لأوامره .. نظر حوله بسرعة يستكشف المكان .. على البعد بضع حراس منهمكين في الحديث و قد أولوا ظهورهم للقصر .. بينما وقف حارس على الجانب الأخر يطعم أحد كلاب الحراسة .. تعمد أن يسير ببطء حتى دنا من شجرة كبيرة .. ألتف ورءها .. أنحنى على الأرض متصنعاً جمع بعض الأعشاب الضارة .. يتبعه الحارس كظله .. يدنو منه وينهره بطرف بندقيته بقسوة و هو يأمره للمرة الأخيرة بالأبتعاد .. يتأكد أن لا أحد يراه .. ينهض فجأة و يباغت الحارس و يسحب سلاحه من بين يديه .. تسمر الحارس في مكانه مذهولاً .. ضربه بكعب البندقية على رأسه قبل أن يفيق من أثر المفاجأة .. أندفعت الدماء من رأس الحارس و لكنه لم ينهار .. قام بسرعة و أنقض عليه .. أشتبك معه .. الحارس قوى و لكنه يتمتع أيضاً ببنيان صلب .. سرعان ما تغلب على الحارس و أفقده الوعى .. يخفيه وراء الشجرة ويتسلقها بخفة .. يرى أحدهم يقترب من الحديقة .. يدعو أن يكون الحاكم .. تسلق الشجرة لأعلى أكثر .. وقع بصره عليه .. المستبد .. يمشى بتمهل .. يميل إلى بعض الأزهار ليشم عبيرها .. يسمع وقت أقدام تأتى من خلفه .. يخرج جهاز التحكم من تحت ملابسه .. يقبض بأصابعه عليه بقوة .. ينظر للحاكم الظالم بأحتقار .. يحيا الشعب و ليسقط عصر الظلم ..

سيخلد التاريخ هذه اللحظة .. لحظة موت الطاغية أخيراً .. سيتكلمون عن بطولته لأعوام .. لا يهمه الآن أن كان قد رآه أحد .. لا يهمه سوى لحظة النصر حتى لو ضحى بحياته .. موت الظالم سيضعف جيشه و ستكون ضربة قاضية له .. يرفع الريموت عالياً بيده بتحفز.. يستعد للحظة الحاسمة .. الحاكم يلاحظ الزهرة الجديدة .. يتطلع إليها بأعجاب .. يقترب منها .. يدنو من نهايته .. تذكر شعبه .. الألاف الذين ماتوا على يد هذا الظالم .. القهر لسنين طويلة .. دماء الأنهار التي سالت بسببه .. سيبنى الشعب تمثالاً له .. للبطل المنقذ .. يسمع ضوضاء بجانبه .. يتجاهلها .. يشتد الصوت .. يعلو أكثر .. ربما رآه بعض الحراس ..لا يهتم .. ينظر للحاكم في عينيه .. يده على زر التفجير .. شخصاً من وراءه يناديه بأسمه .. لا يلتفت .. أحس بوخز في كتفه .. هل أصابته رصاصة .. و لكن لن يمنعه أحد .. و لن يوقفه شئ .. يشتد الوخز .. يتحسس زر التفجير .. أحس بشئ فجأة يلمس يده .. أنتفض فزعاً .. فتح عينيه .. تطلع إلى وجه زوجته للحظات بلا وعى .. نظر حوله بلا فهم .. تنبه لحاله .. كان جالساً على الأريكة داخل منزله المكيف و قد مال رأسه على ظهرها .. يبدو أنه غفا قليلاً كعادته .. نظر للتلفاز أمامه و بقايا الطعام التي تناثرت من حوله .. بدأ يفيق بصعوبة من قيلولته القصيرة .. التلفاز أمامه يعرض أحد أفلام الحرب

التاريخية التي تحكى بطولات أجداده و أمجاد قومه .. لا بد أنـه غفا و هـو يشاهد الفيلم .. " أنت نمت ؟ " سـألته زوجتـه .. يفـرك عينيـه بـشدة .. لم يجب .. عندما تأكدت من أستيقاظه .. طلبت منه أن يساعدها في حمل طاولـة الطعام الثقيلة من حجرة الطعام حيث تريد تنظيف المكان .. تركته .. ظـل في مكانه قليلاً بلا حركة .. تثائب بقوة .. ضغطت يده على شئ .. لم ينتبه أنـه كان يمسك بريموت التلفاز في يده و أصابعه تتشبث به بقـوة .. أحـس بـالألم من قبضة يده القوية على الريموت لفترة طويلة فأفلته مـن يـده .. رمـاه علـى الأريكة .. ربت على بطنه .. أكتشف أن علب الطعام بجانبه فارغة .. نهض بتكاسل .. ذهب إلى المطبخ .. أعد بعض المـأكولات الـسريعة .. عـاد للأريكـة مرة أخرى .. وضع الطعام أمامه و بدأ يتابع التلفـاز مـرة أخـرى بحمـاس .. نسى كل شئ و بدأ يأكل و يضحك و هو يشاهد برنامج كوميدى هـذه المـرة .. نسى حلم البطولة تماماً في ثوان .. بينما ترك زوجته تقف حائرة وسط حجرة الطعام و هـى تحـاول جاهـدة بـشتى الطـرق جـر مائـدة الطعـام الـضخمة .. بمفردها

الكلب

وقف عبد الباسط على أهبة الأستعداد ينتظر بترقب وصول السيدة .. صاحبة المكان .. لم يكن قد رآها من قبل و لكنه سمع الكثير عنها .. يقولون أنها أرملة غنية .. توفى زوجها من سنوات تاركاً لها الكثير من المال و دون أن يترك لها أبناً واحداً .. تأتى كل فترة إلى الريف لتستمتع بقضاء بعض الوقت بعيداً عن زحام المدينة .. و لتشرف أيضاً على مزارعها هنا .. تمتلك فيللا كبيرة تطل على حديقة واسعة حيث تهوى زراعة الورود .. سمع أيضاً أنها تهوى تربية الكلاب و الأعتناء بها و هو ما كان يثير خوفه ، لا يخشى أكثر من الكلاب منذ عقره أحداها و هو صغير .. و رغم مرور السنوات ، إلا أنه ما زال يخشى الأقتراب من أى كلب يراه مهما بدا مسالماً

قطع حبل أفكاره صوت سيارة قادم .. توجه ببصره إلى بوابة الفيللا حيث أسرع بعض الخدم إلى هناك .. سرعان ما توقفت سيارة و شاهد سيدة أنيقة تهبط منها .. ناداه السائق فأسرع عبد الباسط إليه .. عوض السائق .. هو الذي جاء به إلى هنا .. أبن هذه القرية مثله .. عندما علم بحاجتهم إلى

بستانى تولى مهمة البحث عنه و أختارعبد الباسط في النهاية .. يعلم أنه يعمل أجيراً في حقول الفلاحين .. يعمل أياماً .. و تمر عليه أياماً أخرى بلا عمل .. ليس له خبرة في الحياة سوى فلاحة الأرض .. لن يكون صعباً عليه بأى حال الاعتناء بحديقة البيت الواسعة ، كما أنه عمل دائم و بأجر لا يحلم به

طلب منه عوض أن يحمل الحقائب .. فتح شنطة السيارة الخلفية و بدأ بأنزال الحقائب .. كان عوض ما زال ممسكاً بباب السيارة مفتوحاً رغم نزول السيدة .. نادت السيدة بصوت دافئ على شخص ما بالداخل .. ظن عبد الباسط أن أحد صديقاتها جاءت معها .. و لكن سرعان ما رأى كائناً أسود يهبط من السيارة .. كلباً ضخماً تبدو عليه الشراسة .. يحيط بعنقه طوق ضخم ينتهى بسلسلة ذهبية في يد السيدة .. أسرع عبد الباسط لحمل الحقائب بينما أتجهت للداخل يتبعها الكلب كظلها

عاد بعدها إلى عمله في الحديقة .. عند أنتصاف النهار خرجت السيدة للتنزه مع كلبها .. وقفت تتطلع إلى الحديقة .. أنحنت و أخذت تداعب كلبها و تربت عليه في حنان بينما أستسلم الكلب العملاق لمداعباتها .. و عندما حانت ساعة الغذاء .. أخرج الخادم صينية كبيرة رصت عليها أنواع كثيرة من الطعام .. ظن عبدالباسط أن الطعام للسيدة ، و لكنها سرعان ما نادت

عليه .. كان يسقى أحد الأشجار قريباً منها فهرع إليها .. أمرته أن يعتنى بالكلب حتى يتناول طعامه و أتجهت بعدها إلى الداخل .. وقف الكلب يهز ذيله و هو يرى سيدته تبتعد .. بينما تسمر عبدالباسط لا يدرى كيف يتصرف مع كلب بتلك الشراسة

و رغم أرتباكه ، لكن لم يكن الخوف من الكلب هو الذي يشغل باله فقط .. كانت الرائحة اللذيذة المنبعثة من الطعام و التي أهاجت معدته الخاوية هى التي بدأت تسيطر على حواسه بل و تطغى على خوفه من الكلب .. نظر الكلب لعبد الباسط بلا أهتمام و هو يتمدد على الحشائش بتكاسل ، بينما بدأ عبدالباسط يتطلع للطعام الشهى .. يلتهمه بعينه دون أن يمسه .. أبعد عينيه عن الطعام بصعوبة .. لم يعد يهتم بالكلب النائم على بعد خطوات منه .. نظر إليه .. كم هو محظوظ .. لا يشعر بالجوع لأن أحداً يرعاه و يهتم به .. وجد نفسه بعد فترة يتجه ببصره نحو الطعام مرة أخرى بلا وعى .. أغمض عينيه لبرهه ، بينما ترك الرائحة الذكية تغزو حواسه و تسيطر عليها بأستسلام لذيذ

فتح عينيه و أفاق سريعاً من أحلامه .. لا يعلم لما نظر حوله بوجل .. ربما خوفاً من أن يلمحه أحد و يقرأ أفكاره التي تفضحها نظراته الجائعة .. تماسك و أبتعد قليلاً عن الطعام .. عندما كان يعمل أجيراً في الحقول كان يأكل

أحياناً مما تنبته الأرض .. و يشرب من مياه الترعة .. أما الآن في حديقة كتلك ، فلا يوجد شئ سوى الأزهار .. تمنى لو كانت طعاماً فيشبع جوعه الذي يستعر من الأمس حين بات بلا طعام .. أغمض عينيه يحلم باليوم الذي يقبض فيه أول راتب من عمله الجديد .. عوض أخبره أن راتبه سيكون أكبر مقارنة بما كان يحصل عليه من قبل .. سيشترى أولاً طعاماً .. أنواع كثيرة غير التي أعتاد أكلها .. كتلك الموجودة على الصينية أمام الكلب و التي لا يعرف أسمائها و لكن أشكالها تغريه .. و سيلتهمها حتى يتخم معدته .. أفاق من تأملاته على الكلب و هو يتحرك قليلاً بعيداً عن الطعام .. ثم يجلس على الحشائش مرة أخرى بتكاسل .. نظر للكلب في حيرة .. يا لغباء هذا الكائن .. كيف يترك طعاماً بتلك الوفرة

نظر حوله في تردد .. لم يكن هناك أحد في الحديقة سواه .. و الأشجار المزروعة أمام الفيللا تمنع من يقف في نوافذ البيت من رؤية ما يدور في تلك البقعة من الحديقة .. و كأن الأشجار تتواطئ معه .. بدأت خواطر غريزية تتوارد على ذهنه تدريجياً .. ثم تحثه و تحركه .. بطيئاً و لكن بثبات يقترب من الطعام .. أغمض عينيه بتلذذ و هو يحلم بأن الطعام له .. ثم فتحهما بسرعة .. لماذا يحلم و هو في عالم الواقع الآن ، و حلمه على بعد خطوات منه ، بل و في متناول يده .. أقترب أكثر من الطعام بتردد .. سال

لعابه .. وجد نفسه يمد يده إلى صحن الطعام بخوف .. ألتقط قطعة صغيرة من اللحم و رماها في فمه بسرعة و كأنه يتخلص منها .. بدأ يلوكها بسرعة شديدة و قد تركزت حواسه كلها في عيناه و هو يتابع كل حركة في الحديقة أمامه .. لم يشعر بطعم القطعة الأولى و أن أحس بها تستقر في معدته الخاوية .. مسح فمه بباطن يده ليخفى آثار الجريمة .. تطلع حوله .. كان الكلب ما زال في مكانه مسترخياً يطالع ما يحدث بلا حراك .. و الهدوء يفرض سيطرته المعتادة على المكان .. مرت لحظات و هو يقف ساكناً في مكانه لا يتحرك .. و عندما شعر ببعض الأطمئنان .. عاد للنظر مرة أخرى إلى وليمته .. و بسرعة و لكن تلك المرة بثبات أكثر ألتقط قطعة ثم أخرى .. أحس بالطعم اللذيذ يجتاح معدته .. بينما سرى خدر لذيذ في عروقه بعد أن بدأ يشبع بالطعام .. كان يتوقف كل برهة ليراقب المكان حوله .. ثم يلتهم تلك الأنواع أمامه التي يراها لأول مرة و إن أعجبه طعمها .. في دقائق معدودة كان قد أنهى الطعام و أسرع يغسل يداه و يمسح ملابسه بعد أن أنزلق بعض الطعام عليها .. مرت بعدها ساعة قبل أن يأتى أحد الخدم ليرفع صينية الطعام

دقائق ثقيلة مرت عليه .. بدأ يستعيد بعدها ببطء قدرته على التفكير .. شعر بالذنب .. و بمدى غبائه أيضاً .. من المؤكد أنهم أدركوا ما حدث الآن ..

فليس من المعقول أن يلتهم الكلب كل هذا الكم من الطعام بمفرده .. كان ينبغى أن لا يندفع بهذا الشكل ، أن يترك على الأقل بعض الطعام بدلاً من ألتهامه كله .. و بدأ يلوم نفسه و يحاسبها بقسوة .. سيكتشفون أمره سريعاً لا محالة .. و من الأرجح أنهم سيطردونه .. و ربما دفعوه إلى السجن .. فمن أين له بثمن ما أكله .. مر الوقت بطيئاً و هو يقف حائراً يتساءل بقلق عن مصيره .. لمح بعدها السيدة تخرج للنزهة في الحديقة .. و رآها تقترب منه .. بدأ قلبه ينبض بعنف .. تهيأ تماماً للأسوأ ، و لكن الغريب حقاً أن السيدة شكرته لأنه أعتنى بالكلب في غيابها .. كانت سعيدة بأن الكلب أنهى طعامه كله ، حتى أنها منحته بعض النقود و هى تستمر في مداعبة كلبها برفق .. أنصرفت بعدها بينما يتبعها الكلب بنشاط

عندما عاد لبيته .. أسرع ليغسل وجهه .. وقع بصره دون وعى على صورته في المرآة .. وجهه متورداً على غير العادة .. بينما عيناه تلمعان ببريق الصحة .. لأول مرة يرى نفسه بهذا الشكل .. و أحس بالقوة تسرى في عروقه .. قوة لم يعهدها في نفسه من قبل .. يكاد يشعر أنه أنسان جديد بعد أن أمتلأت معدته اليوم و لأول مرة بكل ذلك الكم من الطعام الدسم .. نام تلك الليلة بعمق لم يختبره من قبل .. و في الصباح عاد للعمل بكل نشاط

مر عليه يومان على نفس المنوال .. كانت السيدة تأتى بكلبها كل يوم عند

أنتصاف النهار تقريباً يتبعها الخادم بالطعام ، و تترك له مهمة الاعتناء بالكلب .. في الواقع لم يكن الكلب يأكل إلا القليل من الطعام بينما يتولى عبد الباسط مهمة القضاء على باقى الطعام بمفرده بنجاح بعد أن اطمأن أن لا أحد يشك فيه .. و بدأ عبدالباسط يسمع من عوض حكايات غريبة عن حب السيدة الشديد للكلاب .. خاصة هذا الكلب الشرس الذي مكث معها لسنوات طويلة .. كانت تحب الكلاب لدرجة أنها لا تكاد تفارقهم عند ذهابها للتنزه .. و تحرص على أصطحابهم للطبيب أسبوعياً بأنتظام للأطمئنان عليهم .. بل تهوى أن تطعم كلابها بنفسها أحياناً .. و تساءل عبد الباسط بأستغراب لما لم تقوم سيدته بأطعام كلبها الشرس بنفسها كما أعتادت

و بدأ عبد الباسط يصدق تلك الحكايات .. كان يراها تقضى وقتاً طويلاً و هى تلاعب الكلب في الحديقة .. و لشد ما أذهله أن يراها و هى تداعبه بكل حنان .. بل أنه كان يلاحظ أن عيناها تمتلئان بالدموع و يكسو وجهها حزن واضح عندما تغادر الكلب لبعض لأعمالها .. و عندما تعود تبادر بالسؤال عنه بشغف .. و أنتابته دهشة من سلوكياتها ، و حسداً على الكلب .. يا له من محظوظ هذا الكائن ليحظى بكل هذا الحب .. و الأهم بكل ذلك الطعام الذي يقدم له يومياً بلا حساب

مرت ثلاثة أيام سريعاً عليه .. في اليوم الرابع لم تخرج السيدة للحديقة

طوال النهار على غير المألوف فتساءل عن السبب .. مر به عوض فأنتهز الفرصة لتبادل الحديث معه كعادته .. سأله عن السيدة .. أسند عوض ظهره على أحد الأشجار قبل أن يجيب ببطء .. أخبره عوض أن السيدة حزينة لأن كلبها العزيز سيغادرها اليوم .. في الواقع كان الكلب قد عقر أحد الأشخاص أمام بيتها في المدينة من عدة أيام .. و أتضح من الكشف عليه أنه مصاب بعدوى خطيرة لا أمل في علاجها .. و قد يشكل خطراً على حياة الناس .. و لهذا السبب أبلغها الطبيب بصرامة بضرورة قتل الكلب قبل أن يتمكن المرض منه .. و لأن السيدة تحب كلبها .. بكت كثيراً و لكنها لم تجد مناصاً من تنفيذ أمره .. تملكتها حيرة كيف يتم الأمر دون أن يقاسى أى معاناة .. كانت مشفقة أن يشعر كلبها بأى ألم .. لن تتحمل رؤيته يعانى .. لهذا جاءت به إلى هنا .. و اليوم سيتم التخلص منه .. و لذلك فهى متوترة الأعصاب و لا تستطيع الخروج للحديقة لرؤية كلبها العزيز

فهم عبدالباسط الآن لماذا كانت عيناها تلمعان بالدموع كلما فارقت كلبها .. و بدأ عبد الباسط يشعر بالشفقة تجاه الكلب .. صحيح أنه لم يمكث معه فترة طويلة ، و ما زال يخاف منه .. و لكنه كان كلباً مسالماً على أى حال ، كما أنه كان يترك له كل طعامه ليأكله .. و شعر بحزن أكبر لأنه سيحرم من الطعام الوفير الذي أعتاده طوال الفترة الأخيرة

دار سؤال في رأسه ، سأل عوض عن كيفية التخلص من الكلب .. رد عوض بلا أهتمام:

-لا تقلق .. كلها ساعات قليلة و يموت .. لن يشعر بأى ألم .. فمن حسن الحظ أن شهية الكلب كانت مفتوحة طوال الثلاثة أيام الماضية .. سأرتاح من هذا الكلب على أى حال فلم يكن يطيقنى

لم يسمع عبد الباسط الجملة الأخيرة .. توقف ذهنه عند الجملة التي سبقتها .. وجد نفسه يسأل عوض و كأنه يحادث نفسه بصوت عال : و ما علاقة شهية الكلب المفتوحة للطعام في الفترة الأخيرة .. بموته ؟

قال عوض بلا مبالاة و هو يتناول تفاحة من داخل جيبه و يقضمها : السيدة لم تتحمل فكرة أن ترى كلبها يضرب بالرصاص .. أو يموت بأى وسيلة مؤلمة .. و لهذا أتفقت مع الطبيب على أن تضع له السم في الطعام يومياً .. سيموت برفق تدريجياً دون أن يتألم ..

تنهد بأرتياح بعدها مضيفاً : من حسن الحظ أنه كان يلتهم الطعام ألتهاماً .. سيعجل هذا بحدوث الأمر.. يا له من كلب مزعج .. لا أصدق أننا أخيراً سنتخلص منه

الخير

أستقبلته بالأحضان .. فقد مضت فترة طويلة حقاً منذ تقابلنا أخر مرة .. في الواقع تفاجئت بزيارته لى في مكان عملى .. فصديقى مراد لم يقم بهذا من قبل .. رحبت به و أنا أحاول أخفاء دهشتى .. جلسنا بعدها نتبادل الأحاديث و نتذكر ماضينا منذ كنا زملاء في مدرسة واحدة .. عندما أنتهى الكلام المعتاد بيننا .. سادت فترة صمت قطعها و هو يتناول خطاب من حافظة أوراقه .. خطاب مرسل بالتأكيد من مصلحة الضرائب التي أعمل بها كما أستطعت أن أميز من شكل الأختام على غلافه .. و على الفور أدركت سبب زيارته .. سلمنى أياه فتفحصته بلا تعليق .. تنهد طويلاً ثم أندفع يشكو لى من أحد زملائى مأمورى الضرائب الذي بالغ و وضع عليه تقديرات جزافية – على حسب تعبيره – بناء على دخله .. طلب منى أن أراجع زميلى سعياً لحل المشكلة بشكل ودى .. سألته لماذا لم يتقدم بشكوى طالما الحق بجانبه .. قال أن الشكاوى غالباً يكون مصيرها الأهمال و لهذا لجأ إلى .. تلفت حوله بحذر .. ثم دنا منى قائلاً بصوت هامس " أنا متعشم

فيك .. وعلى أستعداد لأى شئ تطلبه "

تجاهلت تلميحه غير المباشر و لم أغضب منه .. كنت أعلم طبيعته جيداً .. أعتاد مراد أن يقضى مصالحه بالرشاوى و الأكراميات .. ربما بسبب طبيعة عمله .. مراد صحفى ناجح في أحد الصحف الكبرى .. أقرأ له من حين لآخر .. أعلم أنه يكسب كثيراً .. فبصرف النظر عن راتبه من الجريدة .. تصرف له مكافأت ضخمة إذا نجح في عمل حوار صحفى حصرى أو خبطة صحفية .. أو تمكن من نشر تحقيق جرئ أو قصة غريبة .. يستخدم هذه الأساليب كثيراً ليحصل على أى خبر مثير أو فضيحة تثير الأهتمام .. كنت متأكد أنه حاول رشوة زميلى و لكنه فشل .. و لهذا لجأ إلى .. وعدته أن أبحث موضوعه .. و إن لم أعده بتخفيض الضرائب المستحقة عليه .. شكرنى بشدة .. سألته عن أحواله و أحوال أسرته .. ثم تطرق الأمر إلى السؤال عن عمله .. تنهد و سكت قليلاً .. ثم أندفع يشكو لى : " تصدق من أكتر من أسبوع مش لاقى حاجة أكتبها .. و كل يوم رئيس التحرير يتصل بى يستعجلنى .. و في الآخر يفرضوا على ضرايب قد راتبى .. يرضيك كده"

ضحكت .. تذكرت شيئاً فجأة .. كنت أعلم أنه يبحث عن قصة جديدة .. قلت له بسرعة :" و الله أنت أبن حلال .. أنا عندى ليك قصة ممتازة " .. بدا بعض الأهتمام على وجهه .. أعتدل في مقعده .. تابعت :" تصور أن رئيس

المصلحة عندنا أتحجز على عربيته من يومين .. ماقدرش يدفع باقى أقساطها .. تخيل .. رئيس مصلحة ضرايب في محافظة كبيرة طول عمره بيقع تحت أيده أصحاب الملايين .. و فنانين مشهورين و كبار رجال الدولة .. هو اللى كان بيقدر الضرايب عليهم بنفسه أحياناً .. أشترى عربية جديدة بدل العربية القديمة اللى طلعت عينه و بقت خردة .. راح لمعرض السيارات و أختار عربية صغيرة على قده .. صاحب المعرض أستغرب لما عرف أنه عايز يشتريها بالتقسيط .. أصله كان عميل عنده .. مقدرش يدفع غير قسط واحد .. و بعدين بنته أتخطبت .. و مصاريف الجواز قطمت ضهره .. و كمان مراته المسكينة .. مريضة بالكلى و بتعمل غسيل كلى مرتين في الأسبوع .. خمس شهور مش قادر يدفع أقساط العربية .. عمره ما كان يتخيل أن صاحب المعرض يجيب الشرطة و يسحب منه العربية و هو في الشغل .. تصور الموقف .. كانت فضيحة ليه .. و قدام كل الموظفين"

كان زميلى ينصت و لم يبد كثير من الأهتمام على وجهه .. أردفت بحماس : " راجل زى ده المفروض يتعمله تمثال لشرفه و أمانته .. و الصحافة تكتب قصته .. و البركة فيك .. تعرف الناس أن الدنيا لسه بخير .. راجل أمين "

قال صديقى معقباً :" فعلاً .. عملة نادرة"

أكملت بحماس أكبر : غيره عمل الملايين .. و من مراكـز و مناصـب أقـل من منصبه .. تعرف أن النائب بتاعـه أتمـسك أمبـارح بـس .. و هـو بياخـد رشوة .. تصدق .. طلب من تاجر كبير رشوة علشان يخفض الضرايب عليه .. لكن التاجر بلغ عنه .. سجله بالصوت و هو بياخد الرشوة و قبضوا عليه .. و هيتعرض على النيابة النهاردة .. بيقولوا أن عنده أملاك كتيرة .. عمارة هنـا و شالية في الأسكندرية .. ولاده كانوا في أغلـى مـدارس اللغـات .. و عربيتـه تمنها قد راتبه في عشر سنين .. لكن رئيس المـصلحة بعـد خمـسة و عـشرين سنة خدمة لحد النهاردة ساكن في بيت بالإيجار هو و أولاده .. مقدرش حتى يشترى شقة بأسمه .. و عمره ما سافر مصيف .. و أولاده أتعلموا في مـدارس حكومية .. و فوق ده كله راجل زى السكر و عنده أخلاص في العمل .. أحياناً بيفضل شغال في المصلحة لحد المغرب .. يراجع كـل كـبيرة و صـغيرة بنفـسه علشان يتأكد أن ما فيش عميـل أتظلـم .. و علـشان كـدة مـصلحتنا مـن أفـضل مصالح الضرايب على مستوى الدولة .. و عمره ما طلـب زيـادة راتـب .. أيـه رأيك تعمل مقابلة معاه .. و لا تحب تعرف تفاصيل أكتر عنه"

أعتدل زميلى في جلسته و قد بان عليه التركيز فيما قلتـه .. شـكرنى ثـم نهض من مكانه .. قال أنه سيعرف التفاصيل بطريقته .. أستأذن بعدها فجأة في الأنصراف .. و غادر المكتب بسرعة

أنشغلت بعدها في عملى و رجعت للبيت مرهقاً .. نسيت الموضوع تماماً وسط زحمة الأحداث اليومية .. في الصباح توجهت للعمل مبكراً و أشتريت الجرائد كعادتى و أنا في طريقى إلى هناك .. فتحت الصفحة الأولى و تصفحت العناوين الرئيسية بسرعة .. كان هناك تقديم عن تحقيق صحفى هام في الصفحة الثانية .. قرأت باقى العناوين الرئيسة ثم فتحت الصفحة الثانية .. أتسعت عيناى من الدهشة و أنا أقرأ الخبر الذي توسط عنوانه الصفحة

حاميها .. حراميها

ضبط نائب رئيس مصلحة ضرائب متلبساً و هو يقبض رشوة

و تحت الخبرعدة عناوين فرعية قرأت منها

النائب أستغل منصبه .. و ثروته تقدر بالملايين

من يوقف مسلسل الفساد الذي أنتشر في تلك المؤسسة و طال كبيرها و صغيرها

تسمرت في مكانى و واصلت القراءة .. كان التحقيق يتحدث بأسهاب عن النائب المقبوض عليه و يعرض بعض فضائحه بالأضافه إلى نشر صوره له و هو خارج من تحقيق النيابة .. و يتحدث بشكل غير مباشرعن فساد منظم لكل الموظفين في المصلحة .. و تلميحات على فساد رئيس المصلحة أو على الأقل تواطئه مع ذلك الفساد و أستغلاله لمنصبه .. و مطالبات للمسئولين بسرعة

التحرك و فتح تحقيق عاجل بعد انتشار التجاوزات في المصلحة بشكل كبير مع الحرص على سرعة نشر نتائج التحقيق للجمهور .. كان التحقيق على صفحة كاملة .. و رغم صدمتى مما قرأته ، و لكن ما لفت نظرى حقاً في المقال هو أمضاء كاتبه في نهايته .. كان موقعاً بأسم ليس بالغريب عنى .. أسم يبدو مألوفاً بالتأكيد لدى .. كان ممهوراً بتوقيع صديقى مراد

الشيخ

كنت أتردد كثيراً على مكتبة قديمة ضخمة في وسط البلد لشراء أحتياجاتى من الكتب .. جذبنى إليها عدة عوامل .. أولها هو منظر تلك الرفوف الكبيرة المتلئة بالكتب و الذي لم أجد له مثيلاً في غيرها من المكتبات الصغيرة الحديثة .. كان المجال هنا أوسع لأختيار ما أريده .. و لم يكن صاحب المكتبة يمانع أن أتنقل بين جوانبها .. أقلب بين الكتب و أطالع محتوياتها حتى أعثر على ضالتى .. كما أنه يساعدنى إذا سألته .. يأتى لى بأى كتاب أطلبه مهما كان نادراً .. لفت أنتباهى أيضاً أنه يحتفظ بموسوعة كبيرة من الكتب النادرة حقاً لا أعلم كيف جمعها و لا تتوافر إلا لديه .. أما الدافع الرئيسى لتفضيلى المكان عن غيره .. هو أن أسعار الكتب كانت مناسبة لى نظراً لأن معظمها قديم و مستعمل

توطدت العلاقة بينى و بين صاحب المكتبة نتيجة لكثرة ترددى عليها .. عجوز نحيل أشيب الشعر يرتدى نظارة ضخمة لا تخفى نظراته الحاده .. قليل الكلام نادر الأبتسام و لكنه يحافظ على صلة قوية بينه و بين زبائنه ..

يحفظ كل شئ عن زبونه كما يحفظ مكتبته .. أغيب أحياناً لأشهر ثم أعود إليه فأجده ما زال متذكراً لأسم آخر كتاب أشتريته وأتفاجئ به يسألنى عن رأيى فيه .. يدهشنى هذا الكهل دوماً بذاكرته القوية

عندما علم بشغفى بكتب المغامرات و الرعب أهدانى هذا الكتاب .. و على شفتيه أبتسامة مبهمه .. تناولت الكتاب بشوق .. أحب قراءة كل القصص بصفة عامة .. و لكنى أهوى تلك التي تدور حول عالم السحر و الأساطير بشكل خاص .. أو عالم الرعب الغامض .. أتابع تلك النوعية من القصص بشغف ، وأحتفظ بمكتبة صغيرة منها داخل بيتى .. لا أعلم سر تعلقى الدائم بها.. ربما بدأ الأمر معى منذ كنت صغيراً أهوى مطالعة صفحات الحوادث المنتشرة في الجرائد اليومية التي يحضرها أبى و أترقبها بلهفة .. ثم أنتقل غرامى إلى كتب الجيب الرخيصة بأحداثها المليئة بالأثارة المفرطة التي تناسب خيال المراهقين .. و تدرجت على قراءتها حتى أصبحت أحتفظ بمجموعات كبيرة منها و بدأت أتعرف بعدها على أشهر أعمال كتاب الرعب و أسعى بأنتظام لشراءها .. كنت في الفترة الأخيرة أتردد على المكتبة بأنتظام .. لاحظ صاحب المكتبة شغفى بتلك النوعية من الكتب و عندما سألنى لم أنكر عشقى لها .. عبرت عن أستيائى من عدم العثور على أى كتاب جيد حقاُ في الفترة الأخيرة .. الكتب الجديدة تخلو من المتعة التي أبحث عنها ..

قـصص الرعـب العاديــة لم تعـد أحـداثها تثيرنــى .. أو أسـتمتع بقراءتهـا كالسابق .. عبرت عـن خيبــة أملـى مـن الأصـدارت الحديثـة الـتي لا تتميـز أحداثها بالأثارة الكافية التي أترقبها .. لمحت في عينيه بريق خـاص و هـو يسمعنى .. طلب منى الأنتظار ثم غاب في الداخل للحظات .. رجـع بعـدها و ناولنى كتاب متوسط الحجم يعلوه التراب

تناولت الكتاب بين يدى بلهفة .. أزحت الغبـار المتراكـم علـى غلافـه .. جذبنى شكل الغلاف من الوهلة الأولى .. قلبـت في صـفحاته .. تأملـت الخـط المكتوب به .. يبدو كتاباً قديماً بالتأكيد من صفحاته الـصفراء و نـوع الخـط و أسلوب طباعته الذي لم يعد مستخدماً في الكتب الحديثـة .. رأيـت أبتـسامته المبهمة و هـو يخبرنــى بثقـة أن الكتـاب سـيعجبنى .. كانـت أول مـرة أراه مبتسماً .. سألته عـن ثمنــه .. لم يـرد .. طلـب منــى أن أقـرأه أولاً فـإذا نـال أعجابى جئت و دفعت ثمنه .. لم يعتاد فعل هذا من قبل .. هل كان كرم منه لأنى زبونه القديم .. شكرته على أى حـال .. تناولـت الكتـاب و مـضيت إلى بيتى مدفوعاً بالشوق لقراءته .. بينما وقف يرمقنى بصمت أمام مكتبته و أنـا أغادر

عدت للبيت متأخراً بعد سهرة مع بعض أصدقائى .. غيرت ملابـسى .. شعرت ببرودة الجو .. أرتديت بيجامتى الصوف و فوقها معطف منزلى داكن

اللون فسرى إلى جسدى بعض الدفء .. هيئت نفسى تماماً لمغامرة قصصية جديدة .. أطفأت النور .. غرقت الغرفة في الظلام إلا من أضاءة خفيفة تأتى من لمبة أنارة صغيرة في السقف .. تأكدت من أغلاق النوافذ جيداً .. أرتحت للصمت التام من حولى .. أغلقت هاتفى حتى لا يزعجنى أحد .. تمددت على الكرسى الأسود الضخم .. نظرت للساعة .. كان الوقت متأخراً .. قبل منتصف الليل بقليل .. الوقت المثالى لقراءة القصة في جو من السكون و الهدوء التام .. أعشق تهيئة جو خاص من الصمت و السكون قبل قراءة أى قصة رعب جديدة .. جو يتناسب معها حتى أستطيع الأندماج و الأستمتاع بها أكثر .. تفقد قصص الرعب لذتها و أثارتها إذا كان هناك ضوضاء حولك .. أو سمحت لأحد بمشاركتك المكان

أمسكت الكتاب و قلبت فيه .. كتاب متوسط الحجم تزيد صفحاته عن المائة .. لاحظت أن بضع صفحات قليلة في نهاية الكتاب تركت فارغة .. بلا سطر واحد .. لم أهتم .. ربما خطأ مطبعى

بدأت القراءة .. تبدأ القصة بمقدمة شيقة .. الأحداث تتوالى ببطء لكنها مشوقة .. جذبتنى الرواية تماماً من البداية .. شخصيات مرسومة بعناية .. و تسلسل أحداث مثير .. نسيت كل ما حولى تماماً .. لم يخيب صاحب المكتبة ظنى و أهدانى قصة ممتعة حقاً .. لم أشعر بالوقت .. مرت ساعة

تقريباً و أنا أقرأ بنهم .. ألتهم الصفحات ببطء و تلذذ .. أنتهيت من الفصول الأربعة الأولى .. أحسست بأرهاق بسيط في عينى .. و تصلب في جسدى .. قمت لأعداد كوب من الشاى الساخن .. خاصة و أن البرد بدأ يتسلل إلى أطرافى .. غبت لدقائق .. أحسست بعدها بنشاط غير عادى .. و رجعت لمتابعة القراءة مرة أخرى بحماس أكبر

سرعان ما أندمجت مرة أخرى .. خط الأحداث يزداد غموضاً و أثارة .. حواسى كلها تعيش أحداث الرواية .. يجذبنى تعاطف خاص مع بطل الرواية لا أعلم سبباً له .. عادة لا أتعاطف مع شخصيات قصص الرعب .. بل تتملكنى أحياناً رغبة سادية في رؤية معاناتهم و الأستمتاع بالنهايات المؤلمة لهم .. قصص الرعب لا تناسبها سوى النهايات المأساوية بل و تزيد مصداقيتها و متعتها .. تشدنى أحداث الرواية إلى عالم آخر .. أتابع بقلق السقوط المتتالى لأبطال الرواية واحداً تلو الآخر أمام شبح غامض يقضى على كل من يقف في طريقه بلا رحمة .. أركز مع محاولات البطل الفاشلة للتخلص منه أو حتى الهرب بلا فائدة .. وصلت إلى الفصل الأخير سريعاً .. أكبر فصول الكتاب

أرحت عينى قليلاً .. نظرت للساعة .. كانت تخطت الثانية صباحاً .. تأخر الوقت و لكن لن يطاوعنى النوم قبل أنهاء القصة .. بدأت في الفصل

الأخير .. أندمجت في أحداثه بشكل أكبر من باقى الفصول .. تزداد الأحداث أثارة .. تركزت حواسى تماماً على سطور الرواية .. لم أعد أنتبه لأى شئ مما حولى .. لم أسمع صوت النسيم و هو يداعب شباك النافذة المغلق .. أو خشخشة بعض أوراق الشجر الملقاة بأهمال فوق حديقة المنزل .. لم أسمع صوت الثلاجة الذي يأتى أعلى من المعتاد ..أو ألاحظ تجمد أطرافى من البرد رغم أغلاقى لكل منافذ الهواء .. حتى كوب الشاى الساخن الذي أحضرته أهملته حتى أصبح بارداً .. كنت أترقب نهاية الرواية و معرفة مصير البطل .. أقتربت من نهاية القصة و المطاردة مستمرة .. أقرأ بسرعة و أكاد ألتهم الأسطر ألتهاماً .. البطل يظن أنه نجح في الفرار و لكن الشبح يعثر عليه .. قاربت على الوصول لنهاية الفصل الأخير و الرواية كلها .. قبل أن تقع عيناى على تلك الأسطر في نهاية الصفحة التي أقرأها

"تسلل ببطء شديد نحوه ، بدأ الشبح يدنو من الشخص الجالس الذي لم يشعر بوجوده ، أخيراً عثر عليه بعد طول مطاردة ، أقترب منه بحذر ، لم ينتبه له ، مستغرقاً في القراءة ، مسترخياً على كرسيه الوثير ذو اللون الأسود ، مرتدياً معطفاً من الصوف لا يحميه من برودة الجو و أمامه يستقر كوب الشاى الذي فقد حرارته . لا يسمع سوى صوت تنفسه مصحوباً أحياناً بصوت هدير مروحة الثلاجة العالى ، يقلب في كتاب قديم أمامه على ضوء

خافت ، أقترب منه ببطء و هو يستمتع برؤية آخر لحظات ضحيته التاليه ، و" ....

أنتهت الصفحة .. قلبتها بسرعة .. أصطدمت برؤية الـصفحات البيـضاء في نهاية الكتاب

الضريبة

علمتنى الحياة أن لكل شئ ضريبة .. و أنها مثل تاجر حريص لا يمنح لشخص شيئاً دون مقابل .. و بدأت في هذا الأيمان من صغرى .. كانت جدتى التي علمتها تجارب الحياة تقول لى دائماً أن الأنسان يدفع ثمن لكل نجاح يحققه في الحياة .. و الثمن يختلف من شخص لآخر .. و من نجاح لآخر .. و لم أكن أفهم كلامها في البداية لكننى بدأت أستوعب معناه بل و أؤمن به مبكراً .. أتذكرأول تجاربى مع معادلة الحياة بدأت في سن مبكرة عندما نجحت بتفوق في مرحلتى الأعدادية وللمرة الأولى جاء ترتيبى الأول على مدرستى .. بعدها تعرضت لحادث و أنكسرت قدمى .. و قضيت أجازتى كلها عاجزاً عن الحركة مستلقياً على سريرى أتطلع بحسرة إلى ساقى المحاطة بالجبس الأبيض بينما زملائى يلهون بمرح في الخارج .. و عندما نجحت بعدها بسنوات قليلة و ألتحقت بالكلية التي أحبها و طالما حلمت بها .. خسرت أفضل أصدقائى بعد خلاف طارئ وأنتقلت للسكن بعيداً عن أهلى

و هكذا مضى بى الزمن و أنا أدفع ضريبة كل نجاح أحققه .. و الدنيا علمتنى أنها ليست كريمة لتهبنى شئ دون مقابل .. و تعودت أن أتلفت حولى حذراً كلما حققت نجاحاً .. فما أن أنهيت دراستى الجامعية و عثرت بعدها بأسابيع قليلة فقط على عمل مميز في شركة مرموقة و براتب عالى لا يحلم به زملائى .. حتى تفاجئنا بقرار أزالة للبيت القديم المتهالك الذي يأوينى أنا و عائلتى ، و أضطرت الأسرة إلى الأنتقال من بيتنا القديم الرحب إلى شقة صغيرة متواضعة

أستلمت عملى بعد أنتقالنا و سارت الحياة بى بطيئة .. أنشغلت بعملى لفترة ليست بالقصيرة حتى تعرفت في بيتنا الجديد على أبنة الجيران بالمصادفة و تعلقت بها فغيرت حياتى .. تبادلنا الحب فلم تكد تمضى بضع أشهر حتى قررت التقدم لخطبتها .. ترددت كثيراً في البداية خاصة أنى لا أملك من حطام الدنيا أى شئ يذكر إلا أن أهلها رحبوا بى رغم قلة أمكانياتى وقتها .. دفعتنى تلك الخطوة للأجتهاد أكثر في العمل لتحقيق النجاح الذي حلمت دوماً به .. واصلت العمل ليلاً و نهاراً بلا راحة لتأمين مستقبل أفضل لها .. أهملت صحتى كثيراً حتى تفاجئت يوماً بآلام هائلة تهاجمنى .. خضعت لعملية عاجلة لأستئصال الزائدة التي أهملت و تجاهلت بوادر ألتهابها الأولى ، و أضطررت لترك عملى لفترة طويلة بعد الجراحة كى

أستعيد صحتى مرة أخرى .. و قبل أنتهاء فترة النقاهة تفاجئت بأستغناء الشركة عن خدماتى نتيجة لغيابى الطويل .. و خسرت العمل بعد أشهر قليلة فقط من خطبتى .. بحثت كثيراً عن عمل آخر مناسب بلا جدوى .. هدانى تفكيرى بدافع اليأس إلى البحث عن فرصة عمل بالخارج رغم رفضى لتلك الفكرة من قبل و تخوفى الشديد منها .. تواصلت مع عمى الذي يعمل من فترة طويلة بأحد الدول العربية .. و مرت شهور حتى كدت أيأس أنتقلت خلالها بين عدة وظائف مؤقتة قبل أن ينجح عمى أخيراً في الحصول على عقد عمل مميز لى .. طرت فرحاً بالعقد .. و لكنى في المقابل أضطررت إلى تأجيل زفافى حتى تستقر أوضاعى في الخارج .. و سافرت و صورة خطيبتى لا تكاد تفارق ذهنى

قضيت عامان في الغربة و أحسست أنهما دهراً كاملاً بعيداً عنها .. وفى أول أجازة لى تم الزفاف .. أصطحبت زوجتى بعد أنتهاء الأجازة للخارج .. شجعنى زواجى على الأجتهاد أكثر في العمل مع عدم أهمال صحتى بعد أن تعلمت الدرس من تجربتى الأولى .. حققت نجاحاً كبيراً بعد أن أستقرت أحوالى .. و نلت بسرعة ترقية حسدنى عليها زملائى .. و بدأت بوادر الحمل تظهر عند زوجتى ..عشت وقتها حقاً أسعد أيام عمرى .. و ظننت واهماً أن الدنيا أسقطتنى من حساباتها الدقيقة أخيراً .. قبل أن أستيقظ يوماً

فزعاً على صراخ زوجتى و تفاجئت بهـا و هـى تنـزف ، نقلتهـا بـسرعة إلى المستشفى .. و هناك أجروا لها عملية عاجلة خرج طفلى الأول منها للعالم بلا حياة .. صدمتنى التجربة .. و بكيت بألم ربما لأول مرة في حيـاتى .. و لم يخفف عنى إلا أطمئنانى على سـلامة زوجتـى في النهايـة .. و هكـذا توالـت بعدها سنوات الغربة .. و لم تغـير الـدنيا عادتهـا الأصـيلة معـى .. معادلـة الحياة وقانونها الثابت الذي لا يـتغير .. كـل لحظـة سـعادة يقابلـها لحظـة ألم .. وكلما حققت نجاحاً دفعت ضريبته .. عاجلاً أو آجلاً أدفعه .. فعنـدما أنجبت لى زوجتى أخيراً أبنى الوحيـد .. خـسرت مبلغـاً كـبيراً مـن المـال في المـضاربة بالبورصـة .. و عنـدما عـدت للـوطن بعـد فـترة غيـاب طويلـة .. و أفتتحت شركتى الخاصة و نجحت نجاحاً كبيراً .. رحلت والدتى العزيزة

و هكذا سارت بى الأيام .. و تعودت أن أكسب شـيئاً فأخـسر شـيئاً آخـر أحبه .. و كل مكسب في حياتى لـه ضـريبة أؤديهـا مرغمـاً .. أحيانـاً تكـون الضريبة بسيطة و سهلة .. كأن يـنجح أبنـى فيخـسر فريقـى المفـضل مبـاراة هامة .. أو أن أنجح في عقد صفقة مهمة فيظهر خلاف بسيط و طارئ بينـى و بين زوجتى ، أو أتعرض وقتها ربما لوعكة صحية مفاجئة .. و أحياناً تكون الضريبة باهظة لا أستطيع تحمـل ألمهـا .. فـلا أنـسى يـوم تخـرج أبنـى مـن كليته .. وبدأت أراه شاباً يافعاً أمامى يتلمس خطوته الأولى على طريق حياته

العملية .. حتى رحلت زوجتى الحبيبة التي عاشت معى كل متاعب الحياة قبل أفراحها

كنت قد أقتربت من الستين .. و بدأت قواى تضعف .. و أصبح للحياة طعم مختلف بعد وفاة زوجتى .. بدأت أشعر بالوحدة و الضعف بدونها .. و أصبح كل أهتمامى في الحياة منصباً على إبنى

وتزوج أبنى أخيراً وأكتملت فرحتى به .. و تمت مراسم الزفاف على عروسته بسرعة .. أنتظرت بلهفة أنباء عن قدوم حفيدى الذي لم أعد أحلم إلا به .. و لكن أشهر طويلة أنقضت دون جديد .. و رغم تأكيد الأطباء على سلامة كل منهما .. إلا أن أشهر توالت سريعاً دون أن تلوح في الأفق أى بادرة أمل حتى أكتملت ثلاث سنوات .. و تفاجئت يوماً بزيارة من أبنى يحمل إلى خبر حمل زوجته أخيراً بحماس .. شعرت أن الحياة تعود إلي من جديد .. و أحسست بدماء جديدة تسرى في عروقى .. تخيلت نفسى و قد أصبحت جداً أخيراً .. اللحظة التي لم أعد أشتاق إلا إليها .. و توالت الأيام بعدها سريعة و أنا في غفلة عن حسابها قبل أن أتلقى صباح أحد الأيام أتصالاً من أبنى يبلغنى فيه أن زوجته بالمستشفى .. هرعت إلى هناك بصحبة قلق يكاد يفتك بأعصابى .. قابلت أبنى و هو يذرع المكان أمام باب غرفة العمليات بتوتر واضح بينما ترتسم على وجهه كل علامات القلق و الخوف .. تحرك شعورى

بالشفقة نحوه .. حاولت طمأنته بلا فائدة .. كان في حالة يصعب معها تهدئته .. علمت منه بصعوبة أن زوجته تأخرت في غرفة العمليات و الطبيب أبلغه بأن الولادة متعسرة .. جلست بجواره أخفى توترى لا أدرى كيف أتصرف .. مرت علينا الدقائق ثقيلة و أبنى بجوارى في عالم آخر يحكمه القلق ، و حفيدى الذي أشتاق إليه دون أن أراه لا يعلم أحد مصيره .. و أنتابنى خوف أن تتكرر مأساتى مرة أخرى يوم أن جاء أول طفل لى بلا حياة .. نظرت إلى أبنى بخوف و قد غمرنى شعور بالعطف نحوه .. رجعت بذاكرتى للوراء و تذكرت يوم كنت في نفس موقفه .. آلمنى أن أقف عاجزاً ليس بأمكانى القيام بشئ لمساعدته .. وجدت نفسى أتجه للصلاة .. ظللت أدعو لأبنى كثيراً و عندما رجعت إليه أنتابنى شعور غريب بالراحة .. جلست و سرحت مع تيار أفكارى .. تراءت أمامى كل صور حياتى و مشاهد تلك الرحلة الطويلة من التجارب و الآلام حتى أنتهت بى إلى هنا .. و ربما .. للمرة الأولى بدأت أسترجع كل تجارب عمرى بمنظور آخر .. أراها الآن أمامى بزاوية جديدة لم أعهدها في نفسى .. أتذكر عندما أنكسرت ساقى و قضيت أجازتى كلها في السرير .. لم يكن يسلينى وقتها سوى الكتب التي يحضرها والدى .. و التي بدون ذلك الموقف ما قرأتها .. و هى التي شكلت ثقافتى وأفادتنى كثيراً فيما بعد .. أتذكر الآن فقط عندما أنهار بيتى القديم

الواسع و أنتقلت الأسرة إلى السكن الجديد .. و رغم المعاناة بسبب ضيق السكن و تواضعه .. إلا أنى تعرفت هناك على زوجتى و شريكة عمرى .. كيف نسيت أن بسبب مرضى و فصلى من عملى ما فكرت في البحث عن عمل في الخارج و أنا الذي كنت أرفض هذه الفكرة من قبل ، و لو كتب لى أن أستمر في عملى القديم ما كونت ثروتى أو حققت نصف ما حققته في الغربة في سنوات قليلة .. و الدرس القاسى الذي تعلمته عندما جاء أبنى للدنيا و خسرت مبلغاً كبيراً من المال في البورصة .. تعلمت منه أن لا أخاطر بأموالى بعدها مرة أخرى إلا بعد دراسة و حساب دقيق ، و ربما كان هذا سبب نجاحى بعد ذلك .. تذكرت كل ذلك .. و تعجبت كيف لم أفكر يوماً بتلك الطريقة من قبل .. و أحسست أن الدنيا برغم أنها فرضت على ضرائب ثقيلة أحياناً .. و لكنها منحتنى في مقابلها ما هو أكثر قيمة .. و أن ضرائبها رغم فداحتها كانت أحياناً درساً لم أكن لأتعلمه إلا بهذه الطريقة..

أفقت من شرودى على صوت باب حجرة العمليات و هو يفتح و تندفع منه الممرضة .. ثم بعدها بصراخ طفل صغير يشق هدوء المستشفى .. و رأيت ملامح الفرح ترتسم على وجه أبنى عندما أسرعت أحد الممرضات إليه تحمل البشارة بقدوم أبنه .. طفرت الدموع من عينيه فرحاً و من عينى أيضاً .. و لكن كان علينا الأنتظار قليلاً لرؤية الولد .. لم يستطع كلانا الجلوس .. وقفت

بجوار أبنى مترقباً تلك اللحظة التي أرى فيهـا حفيـدى .. و عنـدها قفـز إلى ذهنى سؤال مفاجئ أقلقنى .. خاطر خبيث سيطر على عقلى لم أستطع دفعـه بعيداً .. ما الضريبة التي على أن أدفعها تلك المرة مقابل تحقيق هذا الحلم .. هل سأخسر شخصاً قريباً .. هل سأعانى في صـحتى أو في العمـل .. أو يكتـب على ما هـو أسـوأ .. لا أعلـم .. و أزعجنـى الخـاطر كـثيراً حتـى طغـى علـى فرحتى .. مرت ساعة على أنتظارنا قبل أن تسمح لنا الممرضة بالدخول أخيراً لرؤية الطفل .. رأيت حفيدى نائماً بأستسلام بين يدى أمه .. قفز قلبى فرحاً و أنا أطالع كتلة اللحم الحمراء العزيزة تلك .. أحسست بقوة غريبة تسرى في جسدى الواهن .. أحتضنت الولد عالياً بين يـدي برفـق .. نظـرت إلى وجهـه البرئ و قد بدأ جسمه يتحرك قليلاً ليفيق من نوم سـاحر ، و يلقـى بنظراتـه الأولى البريئة على وجهى .. و تلاشت مع رؤيته بين ذراعى كل خواطرى .. في تلك اللحظة لم يعد يهمنى الضريبة التي سأدفعها الآن من أجل رؤية هـذا الوجه الملائكى .. مستعد الآن لأى ضـريبة مهمـا كانـت بـل و سـأرحب بهـا برحابة صدر .. وجدت نفسى بلا أرادة أرفع بصرى إلى السماء و أنـا أحتـضن حفيدى الصغير بين ذراعى .. و بدون وعى أبتسمت برضا

العدو

كانت تجلس في حديقة الفيللا و هى تداعب كلبها الضخم .. أستلقى الكلب على الحشائش بتكاسل بينما أستسلم تماماً لمداعباتها .. هكذا أعتاد الجيران على رؤية هذا المشهد كل صباح منذ هبطت السيدة و كلبها على الحى .. تتناول أفطارها في الحديقة و هى تطالع الجرائد بينما يقبع الكلب تحت أقدامها .. أقترب بعض الأطفال من سور الحديقة .. وقف بعضهم يتطلع إلى الكلب بفضول .. زمجر الكلب قافزاً نحوهم فتراكضوا بعيداً عنه بخوف

كان من النادر حقاً رؤية كلب مثله .. على الأقل في محيط الحى .. كان حى هادئ من قبل تسكنه العديد من العائلات الأرستقراطية قبل أن تهبط عليه صاحبة الكلب فجأة .. رجعت من الخارج عند وفاة والديها .. أقامت في الفيللا الكبيرة التي ورثتها عنهم .. أثار مجيئها تساؤلات العديد من جيرانها .. و لكن ما أثار أنتباههم أكثر هو الكلب .. لم ير أحد مثله من قبل .. يتمتع بضخامة هائلة و شعر غزير أسود يكسو جسده .. فم واسع

يكشف عن أنياب حادة و عينان مخيفتان .. تثير رؤيته الفزع .. أتت به من الخارج .. يقولون أنه كلب هجين تتميز سلالته بالعنف و الشراسة .. يظل نباحه المخيف يوقظ الجيران كل ليلة .. رؤيته و الزبد يتطاير من فمه لا تدفع أحد لمجرد التفكير في الأقتراب من الفيللا رغم جمال صاحبتها

قالت لها أحد صديقاتها من قبل : لا أعرف كيف تحبين هذا الكلب

فى الواقع كانت تحب كل الكلاب بصفة عامة .. ربما لأن الكلاب تمتلك حاسة الوفاء التي أفتدقتها في علاقاتها مع رجال كثيرون من قبل .. و لكن ذلك الكلب تحديداً كانت تتعلق به بشكل غير عادى .. عندما عادت من الخارج لم تكن تفارقه إلا ساعات قليلة في اليوم .. كانت وحيدة بعد وفاة والديها .. و أقامتها في الخارج لفترة طويلة قطع كل صلتها بأصدقائها القدامى .. و لهذا كانت تستغنى بصحبته عن الناس .. كما أنها أحست بالخوف أكثر وسط الحى الراقى الذي سكنته حيث معظم سكانه من كبار السن الذين لا يعشقون سوى الهدوء و يتعاملون بحذر مع أى وافد جديد .. و كان أكثر ما يزعجها السكون القاتل الذي يشمل الحى مساءاً حيث تنعدم الحركة .. سكون تشعر معه بعدم الأمان و هى التي أعتادت حواسها على الضوضاء و المعيشة وسط الزحام في المدن الكبيرة .. هكذا ظل الكلب بمثابة صمام الأمان لديها .. كانت توليه عناية خاصة و تغرق مشاعرها عليه .. و

شعر الكلب بأهتمام سيدته بطبيعته .. و لهذا كان يتفانى في أخلاصه الغريزى لها .. يظل طوال الليل تحت نافذتها .. يزعج الجيران بنباحه المخيف حتى تطمئن سيدته و تشعر بالأمان فتنام .. و مع أقل صوت للرياح الخبيثة و هى تعبث بالأشجار .. أو لكائن ليلى خرج لسوء حظه بحثاً عن طعام .. كان ينبح بشكل مجنون .. و يكشر عن أسنانه الحادة .. و يندفع في الحديقة كأسد يحرس عرينه .. و عندما يقترب غريب من باب الفيللا .. يتربص به .. يتريث لبرهه و هو يراقبه .. ثم ينقض فجأة مزمجراً مسبباً للغريب أقصى درجات الهلع .. و كان على أستعداد بالفعل ليقضى على أى متطفل بلا تردد .. و لم يكن يمنعه سوى باب الفيللا الحديدى .. و لهذا لم يزعج السيدة أى غريب .. أو يقترب منها جار من الحى

و أطمئن الكلب لحياته .. كان سعيداً بها .. و تمنى لو تستمر الأمور على هذا المنوال .. و لكن الحياة بالنسبة لسيدته بدأت تتغير تدريجياً .. عرفت كيف تكتسب الكثير من المعارف على مر الأيام .. و تحولت المعارف إلى صداقات خصوصاً بعد أستلامها لعمل جديد .. و بدأت أرجل غريبة بالنسبة للكلب تدب داخل البيت .. كان يزمجر في البداية و يستعد للأنقضاض و لكن أشارة واحدة من سيدته كانت تجبره على التراجع خائباً .. و أنشغلت عنه .. و لم تعد تقضى بصحبته وقتاً طويلاً كما كان الحال من قبل .. و الأسوأ

هى تلك الحفلات التي أعتادت على أقامتها بعد عودتها بعدة أشهر .. لم يكن يضايقه أكثر من رؤية كل هؤلاء الغرباء يغزون البيت الذي أعتاد أن يمرح فيه وحيداً .. يدهسون بأقدامهم الحشائش في حديقته – عرينه الخاص – التي يحفظ كل شبر منها بلا خوف .. و يسرقون منه أهتمام سيدته .. و كانت هى في البداية تعرض كلبها غريب الشكل على أصدقائها .. تفتخر به أمامهم .. و حاول البعض أن يلاطفه .. و لكنه كان يزوم بغضب مما يدفع أى شخص بعدم المخاطرة بالأقتراب منه .. لم يعتاد أن يقبل يداً تلمسه سوى يد سيدته .. و بدأ الضيوف ينزعجون منه .. أضطرت لربطه في أحد أركان الحديقة بعد أن أشتكى ضيوفها منه .. و لأول مرة داخل المنزل يلتف طوق حول عنقه و تحجز حريته سلسلة طويلة لا تسمح له سوى بالتحرك في حدود دائرة ضيقة قطرها ثلاثة أمتار .. و إن كانت تطلق سراحه بعد أنصراف الضيوف

كان الكلب يراقب سيدته بحزن .. و لكن الأسوأ بالنسبه له لم يأت بعد .. أعتاد الغرباء مغادرة المنزل في نهاية كل حفلة فيبقى هو و سيدته فقط في الليل .. و لكن بعد فترة لاحظ أن أحد الغرباء أصبح لا يغادر المنزل .. يتجول في البيت بحرية .. يتناول الطعام معها .. يضحكان و يخرجان برفقة بعضهما .. و مع مرور الوقت أصبح لا يرى سيدته إلا و هى برفقته

و لم يعرف الكلب ماهية الشخص الغريب الذي أحتل مكانته لدي سيدته .. و نظر بقلق لسيدته التي لم تعد تشعر بالوحدة بعد أن أرتبطت بالغريب .. و أزداد تجاهلها لكلبها المدلل .. و أزداد هو انطواءاً .. و مما زاد من صعوبة الأمر عليه هو ذلك الكائن الصغير الذي هبط على حياتهم فجأة دون سابق أنذار.. قط أبيض صغير يكسو الفراء الذهبى جسده .. أحضرته سيدته يوماً داخل صندوق متوسط الحجم .. و بمجرد أن فتحت الصندوق حتى قفز إلى الحديقة مصدراً مواءاً مزعجاً .. و شعر الكلب بكره غريزى تجاه المعتدى الجديد .. و تحول ما تبقى من أهتمام السيدة إلى الكائن المزعج الصغير .. كان يراه ينام على الأرائك داخل المنزل و هى تلاطفه بينما يسهر هو في الخارج .. و في الصباح كان يرى سيدته تتناول أفطارها بينما يستقر القط على قدميها و هى تداعبه .. تذكر يوم كانت تربت على ظهره و هو تحت أقدامها كل صباح و كان ينتظر تلك اللحظة بلهفة ليتنعم بتدليل سيدته .. يؤلمه أن هذا القط اللعين يأخذ مكانه .. تذهب للتنزه الآن بصحبة قطها الجديد بدلاً من أصطحابه .. بل أن القط تجرأ يوماً و نزل الحديقة بدون سيدته .. عرينه الوحيد الذي تبقى له .. و بمجرد أن أقترب منه للأنقضاض عليه حتى صاحت سيدته فيه بحدة بعد أن خرجت فجأة .. و لم تعد تطلقه في الحديقة ليلاً بعد أن خافت على قطها منه .. و أعتاد القط بعدها أن يتسلل

إلى مكان الكلب .. يمشي ببطء أمامه ليثير غضبه .. بل و يقضي حاجته في كل أنحاء الحديقة بعد أن أصبحت ملكه الآن و أنطوى الكلب بركن صغير منها ..

و رحل الرجل فجأة .. رآه يوماً يتشاجر مع سيدته و أرتفع صياحهما .. كان على وشك ضربها عندما هرعت سيدته إليه .. حررت السلسلة و أمسكت به بقوة .. شعر بأنها تريد حمايته .. و بثبات نهض ليحول بينها و بين الرجل الذي جاء لملاحقتها .. سال الزبد من فمه و هو يزمجر بقوة مكبوتة من زمن .. و فقد الرجل رجولته أمام هذا المنظر .. بينما وقفت سيدته بثقة وراء الكلب و هي تشعر بالأمان .. كانت أسعد لحظاته و هو يرى سيدته تعود أخيراً لحمايته .. و لم يتردد الرجل طويلاً .. أطلق ساقيه للرياح منسحباً .. وأنتظر بفارغ الصبر أشارة من سيدته لينقض علي هذا الجبان الهارب و يمزق أوصاله و لكن سيدته منعته .. كانت تدرك تماماً أن كلبها عنيف و أن الأمر لن يمر بسلام إذا أطلقته .. و لم يعد للغريب وجود .. و عاد الكلب لمكانته .. و إن بقى القط اللعين .. و لكنه لم يعد يجرؤ على النزول للحديقة .. و عادت سيدته لتدليله كالسابق

و جاء رجل آخر .. بعد فترة قصيرة من السعادة قضاها الكلب مع سيدته بدون غرباء .. و صمم الغريب الجديد على نفى الكلب إلى أقصى ركن في

الحديقة .. و عادت سيدته لأحضان الغريب الذي كان واضحاً كرهه للكلب من أول يوم .. حتى أنه كان لا يطعمه إلا كل يومان .. و أنكمش الكلب مرة أخرى .. و بدأ يراقب ما يحدث بدون فهم .. لا أحد يستطيع حماية سيدته مثله .. فلما تلجأ إلى هؤلاء الرجال .. و هذا الأخير .. أنه أثقل ظلاً من سابقه .. بأمكانه أن يثبت كفاءته بسهولة إذا تركته في مواجهة هذا الرجل بدون السلسلة التي تكبله .. يتمنى لو يحدث هذا .. بأمكانه وقتها أن يمزق أوصاله في لحظات .. و لن يعود في حاجة لرؤية تلك الضحكة الساخرة التي يقابله بها كل مرة عندما يراه .. سيسحق عظامه و يبرهن لسيدته من هو الأقوى و الأجدر بحمايتها .. و تساءل لماذا لا تفضل سيدته حمايته و هو لم يجرؤ يوماً أن يؤذيها كما أذاها هؤلاء الغرباء من قبل .. أنه أكثر أخلاصاً منهم بلا شك .. ولن يقدم أحد منهم فروض الطاعة لها كما أعتاد هو .. فلماذا تظل تتمسك بهم إذن و تتخلى عنه

و مضت الأيام .. و عاد يسمع صراخ سيدته مع الغريب .. و رآه يوماً يضربها .. أنتفض واقفاً على قدميه بتحفز .. و علا نباحه .. أنطلق لكن السلسلة منعته .. و سببت ألماً شديداً في عنقه و هو يحاول الخلاص منها .. و توقع أن تلجأ إليه السيدة و لكنها لم تفعل .. و سرعان ما تصالحا .. و تكررت المشاجرات بينهما .. و بدأت السيدة تلجأ إلى قطها المدلل عندما تكون

حزينة .. تمنى لو تلجأ إليه .. كل ما يريده هو فرصة واحدة فقط ليثبت لها أنه أكثر قوة و أخلاصاً من أى أحد آخر .. تمنى لو تركته فقط في مواجهة غريمه للحظات لينهى وجوده المؤلم في حياتها

و حاول الغريب الجديد التقرب من الكلب .. و بدأ يطعمه بعد أن أهملت سيدته هذا الأمر .. و لكن أستمر عداء الكلب له و إن كان لم يعد يظهر هذا الكره تجاهه .. فعليه أن يسايره حتى يحصل على طعامه بعد أن هجرته سيدته .. و زادت المشاجرات بين الغريب و سيدته .. يراه كثيراً يضربها بالقرب منه .. و كانت تتحمل هى أهاناته و يعود هو لمصالحتها كل مرة

و في صباح أحد الأيام خرجت السيدة مع قطها لتناول أفطارها في الحديقة كالعادة .. كانت ترتدى نظارة سوداء تدارى بها كدمات على وجهها .. خرج الغريب بعدها بفترة .. كان الكلب مستلقياً في ركنه بتكاسل عندما سمع صياحهما .. لم يفهم فيما يتشاجران .. و لكن كان واضحاً أن سيدته غاضبة جداً من الغريب .. و تطور الأمر بينهما سريعاً .. و صفعها الرجل على وجهها .. هب الكلب واقفاً .. ضربها مرة أخرى و تركها ممددة على الأرض .. نهضت و الدماء تسيل من أنفها .. حاولت أن تعتدى على الرجل و لكنه كان أقوى منها .. نظرت إليه بنظرة ملؤها الغضب و أسرعت إلى كلبها .. و لأول مرة من فترة طويلة يرى سيدته تقبل نحوه .. كان يشاهد

الصراع و كل عضلة في جسده تتحفز و تنتفض غضباً .. شعر أنها اللحظة التي ينتظرها .. و بسرعة حررته من السلسلة تماماً و ألقت بها بغضب على الأرض .. ثم ألقت إليه بأشارة معينة .. أشارة تدرب عليها منذ صغره تطلق كل عدوانه .. أشارة معناها أن ينقض على العدو بلا رحمة .. أن يجهز عليه بلا تردد .. و لم تحتاج أن تكرر الأشارة .. كان قد بدأ بالركض فعلاً .. وضع عينه على عدوه .. بينما ظل الرجل في مكانه ينظر إليه بأستهانة .. ركض بجنون نحو الهدف .. أندفعت الدماء إلى عينيه من الغضب .. كشر عن أنيابه .. تدفق الزبد من فمه .. زمجر بقوة .. و أنقض بسرعة مخيفة .. على القط الأبيض المدلل

القيمة

لم يعرف صبرى يوماً قيمة زوجته .. فهو يعاملها دائماً كخادمة .. و من أول يوم في زواجهما و هو لا يقيم لها أو لآرائها وزناً .. فقيمة زوجته بالنسبة له لا تزيد عن قيمة أى قطعة أثاث في المنزل .. و ربما ورث صبرى هذا عن والده .. فقد تربى و هو يرى والده يعامل أمه بهذا الشكل .. فلم يعد غريباً عليه أن يسير على خطاه عندما كبر

كان زواجه تقليدياً .. و لم يكن غريباً أن يفرض شخصيته على زوجته من أول لحظة .. فهو رجل البيت المسئول عنه و الذي يتولى الأنفاق عليه .. و لم تكن هى تعارضه في أى قرار يتخذه .. ربما حاولت مرة أو أكثر من قبل .. و ربما أنتهت الأمور بنتائج غير جيدة بالنسبة لها و لهذا آثرت عدم المحاولة مرة أخرى .. و أستسلمت تماماً لأرادته

و في الواقع لم يكن صبرى بالرجل السئ .. فهو رغم شخصيته العنيدة إلا أنه تاجر معروف بأمانته ، شجاع وكريم كما يراه الناس ، شهم و " ابن بلد

" كما يزعم أصدقائه .. و لكن تحيزه الشديد لآرائه و عدم قبوله سواها ظل بالتأكيد يشكل أبرز عيوبه .. و ظلت رؤيته للمرأة تحديداً ثابتة لا تتغير رغم تغير كل ما حوله ، و موضع سخرية – و أحياناً أعجاب – لكل من عرفه .. فهو يؤكد في كل مناسبة أنها لا تصلح للأعتماد عليها ، بل كان يعيب بشدةعلى بعض زملائه عندما يعلم عن تدخل زوجاتهم في شئون حياتهم .. و لهذا لم يحاول أستشارة زوجته يوماً أو استطلاع رأيها في أى أمر .. بل كان يضربها أحياناً إذا خالفت أحد أوامره .. أو أتخذت قراراً دون الرجوع إليه

و أنجب صبرى ولداً جميلاً بعد عامان من زواجه .. و كبر الولد أمامه و هو يتابعه بلهفة .. و تعلق بأبنه الوحيد لدرجة أنه كان يعود أحياناً من العمل أبكر من المعتاد فقط ليقضى بعض الوقت معه .. بل و يسهر بجواره ليلاعبه رغم عودته مرهقاً من العمل .. و تعهد صبرى لنفسه على أن لا يبخل بأى جهد ليراه سعيداً .. و بدأ يدلل أبنه كثيراً و إن كان يخشى أحياناً أن يفسده التدليل الزائد

و بلغ أبنه أربعة أعوام .. و بدأ ينزل للحارة ليلعب مع أقرانه .. و عاد صبرى يوماً للحارة مرهقاً بعد أنتهاءعمله ليتفاجئ برؤية أبنه يتشاجر مع طفلين أكبر منه حاولا سلب بعض ألعابه .. أسرع إليه على الفور، و أصطحبه

للمنزل و جسده يرتجف من الأنفعال .. و في الطريق بدأ الغضب ينتابه لرؤية الدماء و هى تسيل بغزارة من أنف أبنه و تغطى وجهه بينما لمح بعض الكدمات تظهر بوضوح أعلى ذراعيه .. و على الرغم من غضبه أحس صبرى بالفخر لشجاعة أبنه .. فأبنه حسن لم يهرب من القتال على الرغم من أن الأطفال المعتدين كانوا أكبر منه سناً و حجماً .. بل و واجههم بشجاعة .. و أدهشه أنه على الرغم من الضرب الذي تلقاه .. لم يبكى مثل كل الأطفال ..

والغريب أن صبرى لم يتذكر أنه رأى أبنه يبكى منذ أن شب و أصبح بأمكانه أن يقف على قدميه بمفرده .. حتى عندما أصطحبه للمدرسة للمرة الأولى لم يبكى مثل كل الأطفال من حوله .. و عندما كان أحد المعلمين يعاقبه بالضرب .. لم يكن يخاف أو يرتجف مثل باقى زملائه .. بل كان يتلقى الضرب بهدوء دون أن يصيح ألماً .. هكذا أخبره ناظر المدرسة صديقه و هو يحكى له عن شجاعة أبنه التي لم ير لها مثيلاً من قبل .. و بدأت تصرفات أبنه تستدعى أنتباهه .. كان يلاحظه يختلط و يلعب مع أطفال أكبر منه سناً دون خوف .. يتركه وحده بالمنزل ليخرج مع أمه لشراء بعض الأحتياجات فلا يخاف أو يبكى .. حتى الظلام لم يعد يخشاه .. فهو أعتاد أن ينام في غرفته ليلاً بمفرده بعد أن يسود الظلام المكان تماماً .. بل و يسمعه أحياناً يتوجه للحمام في منتصف الليل دون أن يوقظ أحداً لأصطحابه مثلما يفعل كل

الأطفال في عمره .. و رغم حب صبرى لأبنه إلا أن هذا لم يمنعه من ضربه أحياناً عندما يخطئ .. و لكن الأبن لم يهرب يوماً من العقاب أو يبكى عندما يتلقاه .. و لهذا زاد من تعلقه بأبنه .. و دهشة من سلوكياته

و وقعت حادثة ذات يوم عندما جلب أحد الجيران كلباً كبيراً لحراسة منزله .. كان أطفال الحى يخافون من الأقتراب منه .. يقذفونه أحياناً بالحجارة ثم يركضون بعيداً و لم يكن يمنع الكلب سوى السلسلة الكبيرة التي ألتفت حول عنقه بأحكام و ربطت في سور الحديقة .. و ذات يوم بينما حسن في طريق عودته من المدرسة إذا بأحد زملائه يقذف الكلب بحجر كبير .. و هاج الكلب فوراً .. و لسوء حظه كان بالقرب من الكلب وقتها الذي أنتهز الفرصة و عقره .. و لأنه كلب ضخم غاصت أنيابه في ذراع حسن .. و صرخ حسن و لكنه قاوم الكلب بشدة حتى أضطره للتراجع .. و تم نقله للمستشفى بسرعة .. و أسرع صبرى إلى هناك فور أن علم بالخبر .. و في المستشفى لم يبكى حسن على الرغم من أصابع الطبيب و هى تطهر الجرح العميق و تزيده ألماً و إن أكتسى وجهه بلون قاتم من الألم .. و ترقرقت الدموع في عينى أمه و هى ترى قسوة المنظر بينما وقف الأب عاجزاً يتمنى لو بأمكانه أن يحل محله لمنع الألم عنه

و داوم صبرى على حمل أبنه للطبيب مضطراً ليحقنه بشكل يومى و لمدة

ثلاث أسابيع متواصلة بعد أن عقره الكلب .. يصطحبه حانقاً فهو يعلم كم تسبب من ألم .. تذكرأنه هو نفسه مر بتجربة مماثلة من قبل عندما عقره كلب ضال في قريته و كان وقتها في سن أكبر من سن أبنه .. لا ينسى كيف كانت تؤلمه وخز الحقن وتدفعه للبكاء أحياناً .. و لكن أبنه لم يبكى أو يخاف و هو ما أثار أستغراب الطبيب الذي كان يمنح حسن قطع من الحلوى أحياناً مكافأة على قوة تحمله

و أنجب صبرى ولداً آخر فأنشغل به قليلاً عن حسن .. و أتم حسن ثمان سنوات .. و بدأ يظهر تفوقاً واضحاً في الدراسة .. و تساءل صبرى من الذي يساعده رغم أنه مشغول دائماً في العمل .. و ظل يدهشه بتصرفاته رغم صغر سنه .. فهو لا يشتكى أبداً .. و يواجه كل موقف بجرأة بلا خوف .. بل أنه يذهب للمتجر أحياناً مع أبيه ليساعده في العمل .. و بدأ يتولى شراء كل متطلبات البيت بمهارة يحسد عليها .. فلم تفلح بائعة يوماً أو بائع في غشه .. و لهذا حرص صبرى على أن يقرب إبنه إليه و يعامله بحب أكبر .. و أصبح مدعاة فخره أمام الناس .. خاصة عندما توجه لزيارة أقارب لهم في الصعيد و أصطحب حسن معه .. و هناك أعجب الجميع به و أثنوا على سلوكياته .. وأشادوا بصبرى أكثر لأنه غرس في أبنه كل تلك الصفات الجيدة .. و تساءل صبرى للمرة الثانية كيف أكتسب ابنه كل تلك الصفات

من صغره دون أن يعلمه أحد .. و لم يجد جواباً لسؤاله سوى أنه ورثها منه بالتأكيد

و عاد صبرى يوماً من عمله في المساء بعد يوم شاق خسر فيه مبلغ كبير من المال أثر صفقة خاسرة .. بدا له المنزل أمام عينيه مختلفاً .. لاحظ أن زوجته حركت بعض قطع الأثاث و أعادت ترتيب المنزل أثناء غيابه .. و رغم أن المنزل بدت صورته أفضل .. إلا أنه أغتاظ من زوجته التي لم تحصل على أذنه قبل القيام بالأمر .. و عندما هرعت إليه لأستقباله كان ثائر الأعصاب بشدة .. تشاجر معها .. و علا صوته .. و لم تتكلم هى .. أعتادت أن تتحمل أهاناته بصبر .. و بدأ يفقد أعصابه أكثر عندما لم يجد رداً منها .. و في غمرة أنفعاله .. هوى على وجهها بصفعة قوية

لم يدرى أن أبنه النائم قد أستيقظ على صراخه العالى .. و أن الولد خرج من غرفته لأستطلاع الأمر .. و رأى ما حدث .. و قبل أن يهوى صبرى بالضرب على زوجته للمرة الثانية أندفع الطفل بلا وعى ليقف أمام أمه و يحول بينهما .. كان يقف أمام أمه تماماً فاتحاً ذراعيه و كأنه يذود عنها.. و ذهل صبرى للحظات و هو يرى طفله يواجهه و يحمى أمه .. و هدأت ثورته العارمة قليلاً .. كانت الدماء قد بدأت تنزف من أنفها .. تطلع الطفل للدماء و للكدمات التي علت وجه أمه .. ثم رفع رأسه نحو أبيه بسرعة .. و رأى

صبرى ما لم يكن يتوقعه .. نظرات صادمة يوجهها الطفل لأبيه رغم براءة سنه .. نظرات تحمل كل معنى الغضب .. بينما و لأول مرة في حياته .. يرى شيئاً ينساب عبر عيون أبنه لم يستطع أن يمنعه .. شيئاً لم يره من فترة طويلة و لم يظن أن يراه .. دموعاً ساخنة يسكبها الطفل بصمت .. آلمه أن يراها لأول مرة تنساب بغزارة منه و هو يلتصق بشكل أكبر بوالدته بينما الألم يعتصر وجهه البرئ .. تطلع لجسده الصغير الذي يرتجف بقوة في خوف حقيقى .. وللمرة الأولى أيضاً يرى صبرى أبنه خائفاً .. نعم .. خائفاً و بشدة .. و لدهشته .. لم يكن خائفاً منه ، كان خائفاً على أمه

تسمر صبرى في مكانه مذهولاً للحظات لا يدر كيف يتصرف .. ضمت الأم أبنها إليها بحنان فأستسلم في أحضانها.. مسحت الدماء التي سالت من وجهها بصمت ..أغمض الطفل عينيه وهدأ قليلاً في أحضان أمه و قد بدأ جسده يتوقف عن الأرتجاف تدريجياً .. و رغم الألم الذي تمر به ربتت على كتف أبنها بحنان و هى تواصل أحتضانه بيد .. و تمسح دموعه باليد الأخرى .. تراجع صبرى قليلاً .. نظر لزوجته .. أدرك صبرى لحظتها فقط من أين أكتسب أبنه شجاعته .. و من أين أستمد كل الصفات التي يفخر بها .. تلك الصفات التي ظن يوماً واهماً أنه أكتسبها منه .. تراجع خطوة و هو يواصل النظر إليها مذهولاً بلا كلام .. لم يدرك سوى وقتها فقط من القدوة

التي تعلم منها أبنه حقاً الصبر و تحمل الألم .. و من السبب وراء تفوقه في الدراسة و تميزه خارجها .. و المصدر الذي أستمد منه جرأته و ثقته بنفسه .. أحس بالألم و هو يرى نفسه يزرع في أبنه معنى الخوف الذي لم يعرفه من قبل .. بينما أجتهدت أمه كل تلك السنوات لتنزع من داخله كل المعانى السلبية و تزرع فيه معانى أخرى جميلة يهدمها هو فيه بسهوله تامة الآن .. أطال النظر في وجهها و كأنه يراها للمرة الأولى بينما أنسحبت هى تجاه غرفتها في بطء .. و لأول مرة يستشعر صبرى حقاً قيمة زوجته .. و .. لأول مرة أيضاً يعرف الندم على بعض تصرفاته معها طوال كل السنوات الماضية .. و ..

و لم يعد صبرى يضرب زوجته .. أو يستهزأ بها

و لكنه ما زال متمسكاً بآرائه بعناد تام .. على الأقل أمام الناس .. و إن لم يعد يتطرق إليها كثيراً أو يدافع عنها بحماس كبير كالسابق

أزمة

كنت في عيادتى أستعد لأستقبال آخر حالة .. طرق المساعد على الباب أستئذاناً قبل ان يفسح الطريق للمريض .. رفعت عينى عن بعض الأوراق التي كنت أطالعها و تطلعت للقادم .. شاب في بداية الثلاثينيات رياضى القوام يمشى بخطوات ثابتة سريعة و إن كان يبدو عليه بعض القلق .. بالرغم من ثباته الظاهرى إلا أنى لاحظت توتره من خلال خطواته المترددة و نظراته الزائغة التي مسحت المكان فور دخوله .. نهضت لمصافحته و الترحيب به .. جلس على مقعد مقابل مكتبى .. تشاغلت بكتابة بعض الملاحظات لأفسح له المجال ليهدأ قليلاً و تألف نفسه جو العيادة .. تبادلت معه بعض عبارات الترحيب التقليدية أستجاب لها بكلمات سريعة مقتضبة .. أرحت ظهرى على مسند الكرسى ثم وجهت له سؤالى الأول الذي أعلم مسبقاً أجابته

-هل تلك أول مرة تراجع فيها طبيب نفسى ؟

هز رأسه بالأيجاب .. أخرجت دفتر ملاحظاتى لأدون ما سيدور في

الجلسة و لم أفضل أستخدام المسجل حتى لا أزيد قلقه الظاهر للعيان .. سألته عن أسمه فلم أتلقى أجابة منه .. رفعت عينى و نظرت إليه فأطرق إلى الأرض .. ثم رفع رأسه قائلاً بحزم:

-هل يمكن التجاوز عن مسألة الأسم .. لا أحب أن أكذب عليك .. و سأجيب بصراحة عن أى سؤال آخر .. بعيداً عن هويتى

هززت رأسى متفهمة .. ليست أول حالة يمتنع فيها المريض عن ذكر بياناته الشخصية .. طريقة يلجأ إليها البعض ليشعر براحة أكبر قبل الأنطلاق في الكلام .. كثير من المرضى بعد عدة جلسات على أى حال يكشفون عن هويتهم من تلقاء أنفسهم بعد أن تبنى جسور الثقة بينهم و بين الطبيب بشكل جيد .. تغاضيت عن مسألة الأسم أذن .. سألته عن المشكلة التي يعانى منها .. أو السبب الذي دفعه لمراجعة الطبيب .. شرد ببصره قليلاً في سقف الغرفة .. ثم بدأ يحكى بثبات

علمت منه أنه تعرض لحادث عنيف من بضعة أشهر .. حادث قوى أثر بالسلب على أعصابه و ترك آثاراً لا تمحى داخل نفسه لم يستطع التعافى منها .. قبلها لم يكن يشكو من أى شئ غير طبيعى .. شاب عادى ناجح في عمله .. أجتماعى و له علاقات متعددة .. الآن أصبح يثور بسرعة .. ينزعج من الأصوات العالية .. يتجنب الناس و يفضل العزلة بعيداً عنهم .. و

المشكلة الأكبر التي طفت على السطح فجأة و كانت السبب الأهم الـذي دفعـه للجوء للطبيب .. هى تلك النوبات العصبية اللعينة التي بدأت تهاجمـه بـلا رحمة في الفترة الأخيرة ..

أعتدلت في مقعدى بأهتمام عندما وصل إلى هـذا الحـد .. سـألته عـن نـوع النوبات .. أخبرنى أنها نوبات بفقد فيها السيطرة على نفسه .. بمجـرد أن يتعرض لموقف أو مثير يذكره بالحادث حتى يـصاب بتلـك الحالـة .. يحـس بخدر في أطرافه و عدم قدرة علـى الحركـة .. يـشعر بـدوار شـديد و تخفـت الأصوات من حوله تدريجياً .. يصيب جسده شلل مؤقت و يغيب في عالم آخر رغم أنه لا يفقد وعيه .. يضيق صدره كما لو أن شيئاً ثقيلاً يجثم فوقه فجأة .. تستمر هذه الحالة لفترة من الوقت ثم يبدأ جـسده في الأسـترخاء تـدريجياً و يعود لحالته الطبيعية و لكن مرهقاً تماماً .. المشكلة أن النوبات كانت تنتابـه على فترات متباعدة و لكنهـا زادت في الفـترة الأخـيرة حتـى أنهـا هاجمتـه مرتان أثناء العمل و هو ما لا يريده أن يتكرر .. عمله حساس لا يقبل الخطـأ و أقل هفوة فيه قد تقضى على مستقبله .. في المرتـان أنقـذه مـساعده و أخفـى الأمر ببراعة .. و لكنـه يعمـل الآن مـع مـساعد أقـل خـبرة و براعـة و ربمـا يتسبب الأمر بكارثة

لم أسأله بالطبع عن طبيعة عمله الحساس لأنى أعلم مقـدماً أنـه سـيخفى

ذلك .. أنهيت الجلسة عند هذا الحد بعد أن رأيت أن حالته لا تسمح بمزيد من الكلام .. وصفت له بعض الأدوية المهدئة و طلبت منه تحديد جلسة ثانية .. أنطباعى الأول الذي خرجت به أنه مصاب بأزمة فزع تنتابه عندما يتعرض لمثير قوى يذكره بالحادثة .. ربما يعتبر نفسه مسئولاً عن تلك المأساة التي تعرض لها ، و لم يتخلص بعد من عقدة الذنب حيالها .. على العموم ستوضح الجلسات اللاحقة كل تلك الأمور بشكل أفضل

فى الجلسة التالية تكلم عن الحادثة أكثر .. سبب الأزمة التي يمر بها .. أطلعنى على كافة ملابساتها بالتفصيل .. علمت أنه كان في طريقه لقضاء أمسية لطيفة مع عدد من أصدقائه في أحد الأستراحات على الطريق السريع .. لم يكن في حالته الطبيعية بعد أن دخن كثيراً ، بالأضافه إلى أنه لم ينم جيداً في الليلة التي سبقتها .. أختل توازن السيارة و هو ينطلق بسرعة عالية أعتادها مع أصدقائه فأنقلبت السيارة عدة مرات و حادت عن الطريق و لم يوقفها سوى رمال الصحراء التي خففت زحف السيارة على الأرض .. مات أحد أصدقائه على الفورو أصيب الآخرون بأصابات متنوعة و لكن الغريب أن أصابته لم تكن جسيمه .. كيس الهواء المصمم لحماية السائق في سيارته الحديثة بالأضافة إلى حرصه على أرتداء حزام الأمان دائماً أنقذ حياته .. عند الأنتهاء من كلامه كان العرق الغزير يغطى جبهته رغم برودة الجو ..

لاحظت أنه يتنفس بصعوبة و يطبق بيده على مسند الكرسى بقوة .. أدركت أن حالته لا تسمح بموصلة الجلسة فأنهيتها للتو .. طلبت منه أجراء عدة تحاليل طبية تمهيداً لكتابة بعض الأدوية المهدئة قوية المفعول له .. و حتى أتأكد أن أزمة الفزع التي يمر بها ليس لها سبب عضوى ناجم عن الحادثة

لقائنا التالى أحضرمعه نتائج التحليل التي جاءت سلبية .. واصل كلامه و لكن تلك المرة عن عمله .. لم أخرج بصورة واضحة عن طبيعته و لكنى عرفت أنه عمل حساس يوفر له مكانة أجتماعية مرموقة .. و دخلاً محترماً يجعله يخشى أن يفقده بسبب تلك النوبات .. كما أنه يحب عمله و تميز فيه رغم صغر سنه .. تكلم قليلاً عن علاقاته النسائية و بعض الأمور الأخرى الثانوية التي لا تفيدنى في تشخيص حالته و لكنى أستمعت له بسعة صدر .. في نهاية الجلسة طلبت منه أن يصف لى مرة أخرى بشكل أكثر وضوحاً الأعراض التي يشعر بها بعد الحادثة .. بالأضافة إلى الأعراض التي سبق و أن وصفها .. أبلغنى أنه يعانى قليلاً من أضطرابات في النوم .. صعوبات في التركيز و التذكر .. أحساس عام بالتعب و الأجهاد لأقل مجهود يبذله .. أخبرنى بخجل بفقدانه الرغبة في النساء و هو الذي أشتهر بعلاقاته المتعددة .. كنت أعلم أنه يمر بطور خفيف من الأكتئاب و تأكدت الآن من ظنونى من الأعراض المتنوعة التي ذكرها .. كتبت له مجموعة من الأدوية و طلبت منه تناولها

بحذر .. مجرد مجموعة من الأدوية المهدئة و بعض مضادات الأكتئاب المفيدة في حالته .. نصحته أيضاً بأن يحصل على أجازة و لكنه رفض الفكرة فوراً خاصة أنه سبق له الحصول على أجازة طويلة عند تعرضه للحادث و يخشى أن يثير الشكوك من حوله بطلبه أجازة ثانية سريعة لا يستطيع الأفصاح عن مبرراتها

فى الجلسة التالية كان أشد تماسكاً و أكثر هدوءاً .. وضح التأثير المؤقت للأدوية عليه .. تكلم عن صديقه الذي مات في حادثة السيارة .. و عن علاقة الصداقة الطويلة التي جمعت بينهما .. قص على الكثير من نوادر هذه العلاقة .. ثم سكت طويلاً .. أدركت وقتها أنه يعانى من أحساس بالذنب لم يتخلص منه و يمنعه من مواصلة الكلام .. كنت أرغب أن يتكلم أكثر في هذا الموضوع و يلقى عليه مزيد من الضوء ليتخلص من أنفعالاته المكبوتة و لكنه واصل الصمت .. لم أشأ أن أضغط عليه .. بعد فترة عاد للتحدث مرة أخرى عن عمله و فخره للمكانة التي وصل إليها رغم صغر سنه .. و الأهم ، تحدث عن خوفه من أن تنتشر أخبار مرضه لتصل إلى رؤسائه .. حاولت طمأنته بأن علاقة المريض بالطبيب النفسى لا يسمح لأحد بالأطلاع عليها ، و لكن ظلت نظرات القلق واضحة في عينيه..

فى جلستنا اللاحقة خرج الأمر قليلاً عن المألوف .. جاء ثائر الأعصاب

بشدة و متوتراً بدرجة كبيرة .. لم أره في هذه الحالة من قبل .. أستغرق الأمر وقتاً ليهدأ و يشرح لى سبب توتره .. أحد زملائه ممن يقطنون في منطقة قريبة رآه و هو يتوجه نحو العمارة التي تشغل العيادة أحد وحداتها .. أضطر لأن يكذب عليه و يخبره أنه جاء لزيارة صديق يسكن في نفس البناية .. لم يبدو على صديقه الأقتناع بكلامه و سأله عن أسم الصديق فهو يعرف معظم قاطنى هذه المنطقة و لكنه تهرب منه .. المشكلة أن البناية لا توجد بها سوى عيادة واحدة و هى عيادتى و لو كان بها عيادات أخرى لأدعى الذهاب إلى أى منها بسبب ألم جسدى طارئ يعانى منه .. حاولت أن أوضح له أن العلاج النفسى ليس عيباً حتى أن كثير من رؤساء العالم و المشاهير خضعوا له و أعترفوا بتلقائية بتلقيهم للعلاج النفسى و هم أكثر حاجة من أى شخص للحفاظ على صورتهم المثالية لدى الناس .. و لكنه لم يبدو مقتنعاً بكلامى .. لم أفلح في تهدئته حتى أنه لم يستكمل الجلسة و أنهاها سريعاً بعد أن نصحته بالمواظبة على تناول الأدوية

فى موعدنا التالى لم يحضر .. و لم يظهر في الأسابيع القليلة التي تلتها .. كما أنه لم يتصل ليعتذر .. أدركت أن خوفه على سمعته دفعه للهروب من العلاج .. أو ربما فضل العلاج عند طبيب آخر تشغل عيادته مكاناً بعيداً أو لا يثير الشبهة عند التردد عليه مما يقلل من فرص أنكشاف أمره .. تمنيت

حقاً أن يستكمل علاجه فحالته تحتاج لكثير من المتابعة و الأهتمام.. و الادوية التي كتبتها له لن تعالج المرض و لكنها فقط تخفف شدته و تقلل من أعراضه التي ستعاود الظهور بقوة بمجرد التوقف عنها .. و خشيت أن يعتمد عليها فقط و يهمل العلاج السلوكى و النفسى و هو الأهم .. بعد فترة بدأت أنسى الأمر أو أتناساه .. واصلت التركيز مع حالاتى و أنشغلت بالعمل

بعد مرور فترة وجيزة تلقيت دعوة للسفر للخارج لحضور مؤتمر علمى .. فرصة جيدة لتبادل الخبرات و الأطلاع على آخر التطورات في مجال تخصصى .. قضت وقتاً طويلاً قبل السفر لأعداد بحث ألقيه في المؤتمر .. في يوم السفر توجهت للمطار فجراً للحاق بموعد الطائرة .. أنهيت أجراءات سفرى و صعدت على متنها .. جاء مقعدى بجوار نافذة فألقيت نظرة إلى الخارج و أنشغلت برؤية المطر الذي بدأ ينهمر .. أقلعت الطائرة أخيراً بعد تأخر طفيف .. دائماً أخاف من ركوب الطائرات و لكنى أنجح في التغلب على هذا الخوف بطرق عديدة درستها .. بعد فترة قررت أن أراجع بحثى .. أرتديت نظارتى و بدأت في مراجعة الأوراق بتركيز .. شعرت بعينى تؤلمنى فتوقفت عن القراءة و تطلعت من النافذة إلى المحيط الواسع من تحتنا و قد بدأنا نحلق فوقه في تلك اللحظة .. شردت بخيالى قبل أن يقاطعنى صوت هرولة أحد المضيفات .. علمت أن أحد المسافرين أنتباته غيبوبة سكر .. كنت

أدرك بحكم كثرة سفرياتى أن الطائرة مزودة بحقن الأنسولين تحسباً لتلك الحالات الطارئة فلم يساورنى القلق مثل باقى الركاب على حياة المريض و إن كان الأمر يستدعى حضور الطيار .. فربما تتطلب الحالة هبوط الطائرة في أقرب مطار أو العودة لأسعاف المصاب فوراً .. بعد دقائق هدأت الأمور و وضح أن الحالة تم السيطرة عليها .. أسترخيت قليلاً ثم عاودت القراءة و أنشغلت تماماً في أوراق البحث قبل أن يتناهى فجأة إلى سمعى صوت مميز .. صوت مألوف لم أتعرف عليه في الحال .. رفعت عينى عن الأوراق و تطلعت للأمام .. هناك كان يقف رجل في منتصف الممر يرحب بلهجة لطيفة بركاب الطائرة و يطمئنهم بنفسه على صحة المسافر المصاب .. بمجردت أن وقعت عينى عليه حتى تعرفت عليه فوراً .. و يبدو أنه تعرف على أيضاً لأنى لاحظت أرتعاشة خفيفة في يديه .. واصل كلامه لثوان و لكن تهدج صوته قليلاً ..مع مواصلة حديثه لاحظت أنه بدأ يتنفس بصعوبة و قطرات من العرق تعرف طريقها إلى جبهته .. ثم أستند على مسند أحد الكراسى بعد أن كان يقف بثبات .. أغمضت عينى في أحباط .. لم يكن من المناسب أن يرانى .. أو تقع عينه على أبداً

كان هو بلا شك .. مريضى السابق .. المريض الذي هرب دون أن يكمل علاجه .. يقف أمامى متماسكاً بصعوبة الآن مرتدياً زى الطيار و هو يحاول

طمأنه المسافرين .. تبدو عليه بوادر الأزمة بعد أن رآنى .. مثير قوى يـذكره بالحادثـة .. لم يكـن في اسـتطاعتى أيقـاف النوبـة الـتي أرى بوضـوح بدايـة أعراضها تجتاحه .. هززت رأسى في أسى .. بلا وعـى أبعـدت وجهـى عنـه تجاه النافذة .. حيث تراءى أمام عينى على الفور اللون الأزرق المميز للمحيط الشاسع الذي تحلق الطائرة فوقه..

المغناطيس

كنا زميلين في العمل .. و لكن العلاقة بيننا عابرة ، و ظلت كذلك لفترة طويلة .. لا أعلم كيف أنجذبت إليها .. ربما بسبب نظراتها الغامضة .. أبتسامتها الشاحبة .. مرحها الدائم الذي كان يبدو لى ، على عكس الناس ، قناع يخفى وراءه حزن عميق .. كل ذلك دفعنى لأن أقترب منها .. كانت تتمتع بشخصية جذابة حقاً و خفة ظل بلا تكلف ، دائمة الأبتسام ، تستطيع أن تنجز أى عمل صعب بأبتسامتها السحرية .. تلقائية دوماً و مرحها من النوع المحبب للنفس دون أبتذال أو تجاوز .. و لهذا لم يكن غريباً أن تحظى بشعبية بيننا في العمل لا تضاهى .. و لكن .. ظل هناك شئ لم يلحظه كل من حولها .. تلك اللحظات الخاصة التي تجلس فيها بمفردها فتختفى شخصيتها المرحة عندما تتأكد أن لا أحد يراقبها .. يغمر حزن واضح وجهها الفاتن .. يطل من عينيها أسى عميق .. لحظات و سرعان ما تتدارك نفسها .. تعود إلى طبيعتها أو تحاول ذلك .. ربما كل ذلك دفعنى لأبحث عن فرصة لمعرفتها أكثر .. و ربما لسبب آخر .. و هو أننى كنت سراً أحد المعجبين بها

و في يوم واتتنى الفرصة التي طالما ترقبتها .. أعلنت أحد الزميلات عن رحلة تعتزم المؤسسة القيام بها .. و تحمست عندما رأيتها تشترك بها تحت ألحاح الزملاء .. سارعت بالأشتراك أيضاً لعلى أحظى بفرصة أكبر للتعرف عليها .. و في موعد الرحلة حرصت على الذهاب مبكراً .. مر الوقت و نحن ننتظر داخل الحافلة و لكنها تأخرت .. بدأ القلق يتسرب إلى .. مرت الدقائق سريعاً ليعلن السائق أنه لا بد من الأنطلاق .. بدأنا التحرك بالفعل بينما غبت في عالم آخر .. و فجأة صاحت أحد الزميلات .. ألتفتنا إلى حيث تشير حيث لمحناها تأتى من بعيد مهرولة تحاول اللحاق بنا .. صحنا بالسائق كى يتوقف .. و سرعان ما لحقت بالحافلة و هى تلهث و قد ردت إلى روحى .. كانت تضحك و تعتذر للكل .. دارت بعينها في المكان و لكن لم يكن هناك سوى مقعد فارغ فقط بجانبى .. و بدون تردد وجدتها تستأذن في الجلوس بجوارى

لم أصدق نفسى .. كان هذا أكثر مما كنت أتمناه .. و سرعان ما تنحيت جانياً .. و تبادلت معها الحديث طوال الرحلة .. و أندمجت معها في الكلام و قد نسيت كل ما حولى .. و رغم قصر مدة الذهاب .. إلا أنها كانت أسعد لحظات حياتى .. و عندما بلغنا الهرم – أول مكان في رحلتنا – قلت لها و نحن نغادر : أنت أذكى أنسانة قابلتها في حياتى .. و لم تكن مجاملة .. و

علـى غـير المتوقـع شـحب وجهـهـا قلـيلاً .. و ردت بأبتـسامة باهتـة .." صدقنى .. العكس هو الصحيح تماماً ".. أندهشت و لم أعقب

لم أستطع أن ألتقى معها باقى الرحلة .. كانت تنتقل من مجموعة لأخرى كالفراشة .. تثير المرح في كل مكان تذهب إليه .. و مر وقت الرحلة سريعاً .. و أنتهى بنا الأمر إلى باخرة سياحية في النيل قبل الغروب .. كان أخر مكـان في رحلتنا .. و جاءت في وقت مناسب بعد يوم من الحركة و النشاط حيث حل الأرهاق بالجميع فكانت فرصة للأسترخاء قليلاً وسط النيـل و الغـروب .. و بمجرد أن صـعدنا علـى سطح البـاخرة حتـى درت بعينـى في المكـان أبحـث عنها .. و لكن منظر غـروب الـشمس جـذبنى .. أسـندت يـدى إلى الـسياج و تطلعـت إلى قـرص الـشمس الأحمـر و هـو يحتـضن النيـل .. و عنـدما أفقـت وجدتها بجانبى .. أزداد خفقان قلبى .. قلـت لهـا : منظـر جميـل .. مـدت يدها إلى وجـهـها .. يبدو لتمسح دمعة لم أتبينها جيداً في الظلام .. أشارت إلى مجموعة من زملائنا يفترشون سطح الباخرة في دائرة .. قالت بسرعة : دعنـا نجلس معهم . أنضمت سريعاً للمجموعة و جلست مقابلها .. كان الجميـع في حالة أسترخاء .. و فجأة طرح أحدهم سؤالاً عابراً عن أغـرب شئ سمعـوه في حياتهم .. تحمس البعض للأجابة .. و بدأ كل واحد يحكى عن أغـرب قـصة عايشها أو رآها .. كانـت بعـض القـصص طريفـة ، و الـبعض الآخـر غريـب

حقاً .. و قد حرصت هى و مجموعة من الزملاء على عدم المشاركة و أكتفت بتعليقات قصيرة عقب كل قصة .. لاحظت أنها لم تبدى دهشة على أى قصة سمعتها على عكس الآخرين .. و يبدو أن البعض لاحظ ذلك أيضاً مما دفع أحدهم لسؤالها بفضول : ألم تثيرك أى قصة منهم .. قالت بهدوء : كلها جميلة و لكنها ليست الأغرب .. ساد السكون بيننا للحظات .. كان قرص الشمس قد أختفى و لم يتبقى سوء ضوء خافت .. لم أستطع أن أتبين ملامح وجهها جيداً .. و فجأة طرحت عليها أحد الزميلات : لما لا تحكى لنا أغرب قصة مرت بك في حياتك .. و لم ترد .. و تحمس الجميع للأقتراح و بدأوا يلحون عليها .. كانت تتمنع و تعتذر و لكنهم أستمروا بالضغط عليها .. سكتت قليلاً .. أبتسمت في أستسلام ثم قالت : حسناً .. سأحكى لكم عن قصة أغبى أمرأة قابلتها في حياتى ، و هى قصة حقيقية لا أحب أن أحكيها كثيراً . سكتت لبرهه ، تنفست بعمق .. سرحت قليلاً .. ثم بدأت تحكى بصوت هادئ لا يخلو من نبرة حزن :

كانت أعرفها زوجة جميلة تحب زوجها بجنون .. و كان يعشقها بجنون أكبر .. يشتاق إليها و هى إلى جواره .. تحصى الدقائق و كسور اللحظات لموعد عودته إن غاب عنها .. أندمجا فلم يعد يشعر أى منهما أنه كامل إلا بوجود صاحبه .. كانت لا تتصور حياتها بدونه .. و كان يشعر أنه

يفارق روحه عندما يغادرها .. و حلقاً معا في سماء بعيداً عن أرض قد لا تتسع لعشقهما

سكتت قليلاً .. أقتربت أكثر فيما تطلعت إليها العيون بلهفة و هى تكمل:

في يوم عاد الزوج لمنزله و بيده خطاب .. قبل زوجته بحب كالعادة .. سألته بلهفة عما بيده فأخبرها و هو يكاد يطير فرحاً أنه من أخيه يوسف ، المهاجر في الخارج من مدة طويلة .. أخيه الوحيد الذي لم تره من قبل ، و إن حكى لها الكثير عنه .. سافر إلى الخارج لينهى دراسته الجامعية .. جذبته الحياة فأستقر لعدة سنوات هناك بعد تخرجه عمل خلالها كمهندس في أحد الشركات الكبرى .. علمت أنه سيصل أخيراً بعد يومان .. شاركته فرحته بالطبع .. بعد برهة ظهر بعض القلق على وجهه .. ألتفت إليها قائلاً بتردد : " تعلمين أن يوسف لا أحد له في الدنيا سواى بعد وفاة والدتنا .. و أرغب أن يمكث معنا هنا .. لفترة قصيرة فقط حتى يستقر ".. كادت أن تعترض و لكنها أمام توسله لم تستطع إلا أن توافق .. و أن كان هناك شئ بداخلها أقلقها من الأمر .. و في الليل لم يطاوعها النوم .. لأول مرة يراودها شعورغريب بعدم الطمأنينة لا تدرى مصدره .. في اليوم المحدد أعدت المنزل ليكون لائقاً بأستقبال الزائر الجديد .. لم تدخر أى جهد ليبدو المكان في أبهى

صورة .. بينما توجه زوجها للمطار لأستقبال أخيه .. ما أن عاد و سمعت طرقته المميزة على الباب حتى أسرعت لأستقباله .. رحبت بضيفها بحرارة .. و تطلعت إليه بفضول .. و للوهلة الأولى داهمها شعور بعدم الأرتياح تجاهه .. كان وسيماً حقاً كما كان يحكى زوجها و لكنه بدا غريباً في مظهره و تصرفاته .. ذلك الشعر الطويل الموج .. الملاس الضيقة .. السلسلة التي تتدلى من رقبته .. تلك النظرة المغرورة التي ترتسم على وجهه .. نبات غريب لم تعد تربطه جذور بالحياة هنا .. و سرعان ما أدركت أنها لن تتفق معه .. و أنها أمام شخص ينتمى إلى عالم آخر لم تألفه .. و عندما سألته بترحاب عن صحته .. أجابها بلكنة أجنبية لم تفهمها في البداية فأكد ظنونها .. دعاه أخاه بسرعة لمشاهدة المنزل .. تفحص ديكورات البيت بلا مبالاة قبل أن يعلق ببساطة : ليست سيئة .. ذوق قديم و لكن مع بعض التحسينات ستصبح أفضل . أدهشها كلامه و ضايقها أن يصف أحد منزلها الذي تحرص عليه كل الحرص بسلبية شديدة ، و ينتقد ذوقها علانية .. و لكن ما أدهشها حقاً هو رد زوجها عليه : سنقوم بأى تغييرات تراها ضرورية بالطبع . لم تستطع أن تتكلم ، كتمت غيظها و أتجهت لأعداد الطعام

لم يجلس زوجها بجوارها على المائدة كالعادة .. جلس بجوار أخيه ..

سألته عن رأيه في الطعام ، رد بلا أكتراث : ملئ بالدهون .. أكل غير صحى بالمرة كما أنى لاحظت أنك أكثرت من الملح على الطعام . أدهشها أنه لم يحاول حتى أن يجاملها .. لم تبدى أمتعاضها .. يبدو أنه يفتقد أبسط قواعد الذوق .. تطلعت لزوجها قائلة بهدوء : و لكن أخيك هو من يطلب و يفضل الطعام على هذا النحو .. تطلعت لزوجها الذي تلعثم قليلاً قبل أن يرد : حسناً .. يمكننا أن نقلل الملح فيما بعد .. ذلك صحياً يبدو أفضل . كانت تشعر من الوهلة الأولى أن زوجها يحاول أن يرضى أخيه بكل شكل .. و لكن ليس لتلك الدرجة

فى المساء .. لم يجلس معها كعادته .. كانا يعتادان الخروج لقضاء سهرة لطيفة .. أو السهر في البيت .. يتناجيان .. يتهامسان .. يضحكان .. و لكنه ظل طوال الوقت مع أخيه .. يسأله عن كل شئ مر به في الخارج .. و بدأت ترى بوضوح نظرات الأعجاب تطل من عينى زوجها لكل شئ يسمعه من أخيه .. تراه مبهوراً بما يحكيه عن حياته هناك .. عن حريته و جرأته .. عن تجاربه و مغامراته .. ضايقها الأمر .. و عندما غادرتهما لترد على مكالمة أحد صديقاتها . عادت لتتفاجئ بهما يتكلمان عنها .. سمعته يقول لزوجها : أنها جميلة حقاً و لكن .. سكت بمجرد دخولها .. ودت لو تعرف ما كان سيقول عنها لو لم تقاطعهم ، خاصة أن كلمة لكن تحمل بعدها دوماً

نقداً ، و إن أرضى غرورها قليلاً أن يصفها بأنها جميلة

و مر يومان .. لم يختلفا عن سابقهما .. أستمر زوجها بالأتصاق بأخيه الذي يهوى القيام بأشياءغريبة لم تعتادها و كأنه يستفزها .. بدأ يزعجها حقاً بتصرفاته .. تلك الأغانى الصاخبة التي يحب أن يسمعها بصوت عال .. تدخينه بشراهه .. الأريكة التي يجلس عليها ممدداً و هو يتناول الطعام .. السهر حتى الصباح .. حديثه المتواصل الذي لا يخلو من كلمات أجنبية لا تفهمها .. و لكن ما ضايقها حقاً .. محاولته لتغيير ديكور المنزل حتى يتلائم مع ذوقه .. و بالطبع رفضت ذلك .. و أتخذ زوجها موقفاً سلبياً .. و شعرت أنها وحيدة في منزلها .. حتى الخادمة تطهو له الطعام الذي يحبه .. أو يشترى الطعام جاهزاً .. لم يعد زوجها يتلهف للطعام الذي تطهوه كما أعتاد .. حاولت أن تسترجع زوجها و لكنه كان يذكرها دائماً : لا تنسى أنه أخى الوحيد .. و ضيفنا .. يجب أن نرضيه بقدر الأمكان طوال الفترة المحدودة التي يقضيها معنا . و تحولت حياتها إلى فوضى .. تحملت .. و كبتت ثورتها .. طالت اليومين لتصبح ثلاثاً .. ثم أسبوعاً فأثنان .. و كانت على وشك الأنفجار بالفعل .. بادرته في أحد المرات سائلة بلطف مصطنع و بشكل مباشر : هل تنوى الأستقرار معنا ؟ أجابها ببساطة : تعلمين أنى أبحث عن عروس تشاركنى حياتى .. و قد أبتعت بالفعل شقة في مكان متميز

مؤخراً و أنوى أن أستقر بها فور أن أجد العروس المناسبة ، و لولا أنى لا أحب أن أعيش بمفردى لأنتقلت إلى هناك على الفور . عضت على أسنانها بغيظ و هى تستمتع لأجابته .. و كتمت بصعوبة أمتعاضها و مصارحته بمشاعرها تجاهه

ضايقها أن تظل فترة أقامته المزعجة معهم مفتوحة .. و أن شعرت ببعض الأرتياح لتأكدها أنه سيرحل بمجرد أن يجد العروس المناسبة .. و لكن من هى العروس المناسبة له ؟

شغل ذهنها السؤال كثيراً .. شخص مثله ينتمى بتفكيره و تصرفاته إلى مجتمع غربى يتمتع بحرية مجنونة .. ما شكل فتاة أحلامه .. و أين سيتجه بتفكيره عندما يبحث عنها .. مرت الأيام ببطء ، فكرت جدياً في مساعدته ، و لكنها ندمت على أتخاذها تلك الخطوة لاحقاً .. كل فترة ترشح له فتاة ما تراها مناسبة .. و كل مرة يرفضها بأدب .. و باءت كل محاولاتها بالفشل بالرغم مما بذلته من جهد .. و كلما بادرت بسؤاله عن سبب الرفض يهز كتفيه بلا أكتراث قائلاً : ظريفة .. و لكنها ليست تلك التي في خيالى . و عندما فاض بها الكيل ، تجرأت ذات يوم و سألته : من هى تلك الفتاة التي في خيالك تحديداً ؟ .. صمت وقتاً غير قصير .. ثم أجاب بإيجاز لم يشفى غليلها : تلك التي تكمل شخصيتى . و تساءلت ماذا يعنى بكلامه .. كانت

تراه بالتأكيد شخصية سطحية تافهة .. يعيش حياته بأنانية .. بلا مبالاة .. هل يطمح في أمرأة مثله تستطيع أن تتعايش مع شخصيته

أسبوع وراء أسبوع يمضى .. و مر شهران بلا جديد .. و زوجها يزيد أبتعاداً عنها .. و في يوم توجهت مع أحد صديقاتها للنادى للتنفيث عما بها بعيداً عن المنزل الذي بدأت تشعر فيه لأول مرة بعدم الراحة .. و هناك قابلت هند .. أخت أحدى زميلاتها .. تعرفها من فترة قصيرة فقط .. فتاة متحررة .. جريئة إلى أقصى حد .. عنيدة جداً .. و تتمتع بشخصية مستقلة .. سافرت مع والدها في سن صغيرة و درست في الخارج لفترة طويلة .. و عندما عادت كانت أكثر تحرراً .. و هنا خطرت لها فكرة لا تعلم كيف شقت طريقها إلى عقلها بسهولة .. لما لا تجمع بين محسن و هند .. ربما تكون هى تحديداً من يبحث عنها .. شخصية كل منهما تكاد تكون متشابهه في كثير من الجوانب .. و كلاهما يتبنى نفس الأفكار .. و الأمر لن يحتاج منها سوى لتمهيد لائق

تحمست للفكرة .. و سرعان ما بدأت تحاول أن تتعرف على هند أكثر .. بذلت جهداً كبيراً كى تكتسب ثقتها و صداقتها .. و عندما نجحت في كسب ودها ، قررت أن تمهد للموضوع .. في اليوم التالى على العشاء تكلمت بشكل بدا عفوياً عن زميلتها ، و عن أختها هند .. تحدثت عنها بشكل يثير

الأعجاب .. عن ذكائها و لطفها .. عن جرأتها و لباقتها .. عن الوجة الجميل المتمرد ، و الروح المتحفزة .. شعرت أن خطتها في طريقها للنجاح عندما لاحظت خفية عينى شقيق زوجها تلمعان و هو يتابع حديثها بأهتمام .. نجحت بالفعل أن تلفت أنتباهه .. تعرفه جيداً .. سيرفض بالتأكيد أى محاولات لفرض فتاة عليه بالطرق التقليدية كما فعل مسبقاً .. و لكن ربما بتلك الطريقة تنجح في أن تثير أهتمامه و تجعله يتلهف لرؤيتها

و قررت أن تقيم حفلاً في بيتها بعد عدة أيام .. أنتهزت فرصة عيد ميلاد زوجها .. و كان أول من دعته صديقتها هند و أختها .. في اليوم المحدد بدأ توافد المدعون .. ظلت تراقب خلسة شقيق زوجها .. رأت ملامح القلق تبدو على وجهه بوضوح و هو يصوب نظراته نحو الباب الخارجى من حين لآخر .. و أبتسمت لنفسها بثقة .. و عندما وصلت هند حاولت أن ترى أنطباعه و لكنه كان قد أختفى .. ضايقها الأمر قليلاً .. أسرعت لأستقبالها بحفاوة و أنضم إليها زوجها .. غادرتهم و ذهبت للبحث عنه .. كان يحادث شخصاً آخر .. دعته للتعرف على صديقتها و أختها .. أستقبلهم بهدوء .. تبادل كلمات قليلة مع أخت صديقتها .. لحظات و سرعان ما أندمجا في الكلام .. أنسحبت بهدوء و لكنها ظلت ترمقهما بأهتمام و هما يتبادلان الحديث و يضحكان .. رقص قلبها من الطرب .. و لم يضايقها سوى أنضمام

زوجهـا إلـيهم بعـد فـترة لتبـادل الحـديث .. كانـت تريـد أن تتركهمـا بمفردهما .. و إن أطمئنت أن خطتها في طريقها للنجاح

فى الصباح خرج يوسف مبكراً .. سألته عن المكان الذي يقصده .. أخبرها أنه متوجه للنادى .. لم يعتاد الذهاب لهناك من قبل .. خمنت أنـه سيكون معها .. أعدت الأفطار .. سألت زوجها عن رأيه في الحفلة .. تطرق حديثهما إلى هند .. أثنى عليها بحماس .. ثم أعقب قائلاً : تبدو كطـراز مختلـف مـن النساء لا يمكن لأى رجل أن يراها دون أن يعجب بها .. يوسـف يقـول أنهـا تشبهـه كثيراً .. يفكران بطريقة متشابهـه و يتفقان في كـثير مـن الآراء . كـان هذا بالتأكيد أفضل مـا سمعتـه مـن مـدة .. قـررت أن تمـضى قـدماً في أنجـاح مخططها .. حرصت على أن تدعو هند كثيراً في بيتها .. لا تترك فرصة إلا و تثنى عليها .. لم تعد تذهب للنـادى مـع زوجهـا و أخيـه .. تـترك الفرصـة ليوسف للتعرف عليهـا هنـاك أكثـر .. أرادت للموضـوع أن ينتهـى قريبـاً و تمنت ذلك فزوجها بدأ يتغير كثيراً كما لاحظت .. يبتعد عنها .. يعـبر عـن أرائه دون أعتبار لأحد .. لم يعد يجاملها كالسابق .. كما أنه يخرج كـثيراً و يسهر لأوقات متأخرة ..

و مرت الأيام سريعاً .. و بدأ كل شئ يـسير بنجـاح لم تتوقعـه .. كانـت تعلم من زوجها أن شقيقه يقابل هند كثيراً في النادى .. و عندما جاءها شقيق

زوجها ذات يوم ليزف إليها خبر عثوره على فتاة أحلامه .. لم تتفاجئ و لم تسأل عن أسمها .. أخبرها بحماس شديد لم تعهده فيه من قبل أنه حدد موعد للقاء أهلها .. سألها مازحاً : لما لا تريدين معرفة أسمها و أنت صاحبة الفضل في لقائى بها . أبتسمت بثقة دون أن ترد . في المساء أنتهزت الفرصة ، قالت لزوجها بدلال : ما رأيك أن نخرج الليلة للأحتفال بهذه المناسبة .. هز رأسه ، همس لها محاولاً تصنع أبتسامة : أنا مرتبط اليوم بميعاد هام لا يمكن تأجيله .. و سأعوضك لاحقاً . هزت كتفيها في أسف و قبل أن يخرج مال فطبع قبلة على خدها .. قبلة باردة بلا حرارة لأول مرة لا تشعر بها .. و بدأ شئ بداخلها يقلقها لا تعرف كنهه .. بدأت تراجع حياتها قليلاً .. تأثر زوجها في الفترة الأخيرة كثيراً بأخيه .. يتكلم مثله .. يرتدى مثله .. يعتنق نفس أفكاره .. و لكنها طمأنت نفسها أن لكل شئ نهاية .. سيرحل شقيقه إلى منزله الجديد عما قريب كما تأمل .. و سيعود زوجها إليها كما كان .. و يمكن وقتها أن تستعيد حياتها الهادئة السابقة

فى اليوم المحدد أرتدت أجمل ملابسها .. قال لها زوجها مازحاً : العروس ستكون مفاجأة لك .. أبتسمت ولم ترد .. سبقها إلى الباب .. أغلقته و أتجهت مباشرة إلى المصعد .. سحب زوجها يدها و هو يقول ضاحكاً : لا داعى للمصعد .. سألته بدهشة : هل هو معطل؟ رد عليها : لا .. و لكننا لن

نحتاج إليه ، لن نذهب بعيداً على أى حال . لم تفهم ما يعنيه .. أسرع و أخيه بأرتقاء الدرج .. تبعتهما بلا وعى .. في الطابق الأعلى توقفا أمام شقة .. شقة جارتهم .. زادت الدهشة بداخلها .. أستقبلتهم جارتهم بالترحاب الشديد .. قبلتها و هى تدلف للداخل ذاهلة .. لم تعى أى شئ مما يدور حولها .. تم كل شئ بسرعة أفقدتها توازنها .. لم تفق إلا على صوت زغرودة تنطلق من البيت .. غطت أذنيها بيديها .. شعرت أن رأسها سينفجر .. تلك إذن هى المفاجأة .. العروس بنت جارتهم .. الآن فقط بدأت تستوعب كل شئ .. هدى بنت جارتها .. هى من عرفتها عليه .. دعتها إلى حفلة عيد ميلاد زوجها من باب المجاملة .. لم تتعامل معها كثيراً .. خجولة .. متدينة .. تتكلم برقة و تضحك بحساب .. من أسرة محافظة .. تحافظ على مظهرها الجميل بلا تكلف .. ذكية و أفكارها جريئة .. لهذه الصفات لم ترشحها له من قبل .. صحيح أن الفكرة واتتها من قبل و لكنها كانت تعلم أنه سيرفضها .. كلاهما على النقيض تماماً .. هزت رأسها بعنف .. كيف ينجذب الضدان كقطع المغناطيس .. بدأت تفهم الآن سر ذهابه المتكرر إلى النادى ، هدى تتطوع هناك في العديد من الأنشطة الأجتماعية .. سر نظراته المتلهفة وقت الحفلة ، كانت هى من ينتظرها ، ربما رآها من قبل و أنتهز فرصة الحفل للتعرف أكثر عليها .. سر حرصه على الصلاة بأنتظام و أقلاعه

عن التدخين في الفترة الأخيرة ، يبدو أنها نجحت في التأثير عليه .. و أنفجرت الأسئلة في رأسها .. أسئلة بلا أجابة .. عندما عادت للمنزل لم تستطع أن تمنع نفسها من سؤاله بمجرد أن دلفا للداخل : لماذا هى .. لما أخترتها بالذات ؟ سكت قليلاً قبل أن يقول : كنت أبحث عن أمرأة تكمل شخصيتى .. أنا أعرف أننى متحرر .. جرئ .. كنت أريد أمرأة محافظة ، لديها القوة و الصبر ، تسيطر على تمردى و تقلل من أندفاعاتى .. أنا عنيد و هى ذكية تستطيع أن تقنعنى دون تصادم .. أنا سريع الغضب و هى هادئة بطبعها تستطيع أن تمتص غضبى و أنفعالاتى العنيفة .. أمرأة أثق بها عندما تربى أبنائى و تشدنى إلى حياة الأسرة التي بدأت أفتقدها .. سألته بلا وعى : و هند ؟ بدا على وجهه الأندهاش لبرهه و لكنه أجاب سريعاً : هند مثلى تماماً .. قابلت في الخارج كثيرون مثلها .. لم أعد أشعر بالأنجذاب نحوهم كما كان سابقاً .. أفكارنا ستتصادم من أول لحظة .. أنا أريد أمرأة مثل أمى .. تحتوينى و تعطينى أحساس الرجل الشرقى الذي أفتقدته في الغربة .. تربى أولادى و تحافظ على بيتى و ليس أمرأة أصطدم بها و أعيش معها كأننا غرباء

عندما فكرت في كل ما حدث .. أستعادت توازنها مرة أخرى .. رددت لنفسها بسخرية .. و بما يهمنى بمن يتزوج .. هدى أو هند أو أى فتاة

أخرى .. ما دام سيرحل في النهاية عن بيتى .. و طالما وصلت أخيراً لما أتمناه

و هنا سكتت زميلتنا .. مرت لحظة صمت على الجميع .. فاجأها أحدهم سائلاً : و ما وجه الغرابة هنا .. صحيح أن ما حدث غريب .. و لكنه ليس بالقدر الذي توقعناه . أرتفعت همهمات موافقة من الجميع .. أبتسمت قائلة : أنا لم أكمل قصتى بعد . ساد الصمت مرة أخرى .. أكملت بهدوء حزين : نعم .. تم كل شئ بسرعة كما أرادت تماماً .. تزوج يوسف و أنتقل إلى شقته .. و أصبحت هى و زوجها مرة أخرى لوحدهما أخيراً .. و لكنه لم يعد زوجها .. ما زال يخرج كثيراً .. يعود في أوقات متأخرة .. نظراته بلا عاطفة .. كلامه بلا حرارة .. عندما ينام بجانبها لا تشعر بدفء جسمه .. لا يتكلم معها كثيراً كما أعتاد من قبل ، و لا يبادلها الأهتمام بشئون حياتهما .. و بدأ القلق القديم بداخلها يكبر و يستفحل .. و في يوم بالمصادفة رأته يهبط من أحد البنايات و هى معه .. تتعلق بذراعه .. يميل على أذنها فتنطلق ضحكاتهما .. تأكدت ظنونها .. أمرأة أخرى .. أتدرون من هى .. هند .. نعم .. تلك التي سمحت لها بدخول بيتها و فتحت لها الأبواب بنفسها .. لم تتمالك نفسها .. هجمت عليه .. دافع عنها .. ألقى عليها الصدمة ببرود بأنهما متزوجان من مدة .. لم تصدق .. عندما أحتواهما المنزل سألته شبه منهارة عن السبب .. أطرق إلى الأرض قليلاً قبل أن يواجهها :

أنت السبب .. كلامك عنها أثار فضولى لمعرفتها .. طالما تحدثتى عنها بحماس كبير لا يملك معه أى رجل إلا أن يعجب بها .. لم أستطع المقاومة .. و عندما تعرفت عليها وجدت أنها أمرأة مختلفة .. أمرأة مميزة تثير الأعجاب و الرغبة بالتأكيد .. و كما قلت لك من قبل .. هى طراز مختلف من النساء لا يمكن للرجل مقاومته . و سكتت .. أدركت فقط في تلك اللحظة أنها كانت حقاً السبب .. أن اللوم لا يقع إلا عليها .. و أن الخطأ كان من نصيبها وحدها .. و بالتالى العقاب .. حاولت أن تنقذ بيتها فهدمته .. هيئت الطريق لأمرأة أخرى لأن تشغل قلب زوجها .. أدركت أنها أغبى أمرأة في العالم .. أمرأة سعت لتدمر حياتها بحماقتها

سكتت قليلاً .. تنهدت تنهيدة حارة .. ثم قالت : بالطبع كانت الصدمة قاسية عليها .. طلبت هند من زوجها أن يطلق زوجته الأولى ففعل .. كانت مسيطرة عليه بالكامل .. مر عليها وقت طويل بعدها و هى في حالة صدمة .. تهذى و تكلم نفسها كثيراً .. تعاتبها بغضب .. أمسكوا بها يوماً و هى تحاول أن تؤذى نفسها .. كانت على حافة الأنهيار .. و لكنها قررت بعد فترة أن لا تستسلم .. أسترجعت نفسها ببطء .. و تدريجياً بدأت تعود للحياة .. صحيح أن ما حدث ترك بها آثاراً لا تمحى .. و لكنها ضمدت جراحها .. و أستعادت نفسها مرة أخرى

أنتهت من قصتها .. ران الصمت على الجميع .. كانت الباخرة السياحية قد أقتربت من الشاطئ .. أفاق أفراد المجموعة على بوق السفينة و هو يعلن قرب الوصول .. بدأ البعض التحرك ببطء .. غادروا أماكنهم واحداً تلو الآخر .. توجهوا للطابق الأسفل لمغادرة السفينة و البعض ما زال يعلق على ما سمعه .. كان غريباً حقاً ما سمعته منها .. ظلت جالسة في مكانها دون أن تتحرك .. تأكدت من أنصراف الجميع فنهضت ببطء .. توقفت للتطلع لبرهة إلى صفحة النيل .. كان الظلام سائداً إلا من ضوء النجوم .. لم يتبق سوانا على سطح السفينة .. و مجموعة أخرى من السياح على الجهة المقابلة .. أنتهزت الفرصة فأقتربت منها .. أحست بوجودى .. رأيتها تمسح وجهها بسرعة .. لم أتبين إن كانت تبكى .. وقفت أنظر إلى النيل بصمت للحظة .. ألتفت إليها ثم قلت : أريد أن أعرف نهاية القصة حقاً .. كيف أنتهى بها الحال ؟ أبتسمت بشحوب ثم قالت بلا مبالاة : نهاية عادية .. عادت إلى حياتها .. وجدت عملاً .. أصبحت تقضى فيه معظم وقتها .. تحاول أن تبتسم للناس و هى تداوى الجرح النازف بداخلها .. و تستقبل حياة جديدة بقلب محطم .. ما رأيك في قصة تلك المرأة الحمقاء ؟ قلت لها بجرأة لم أظن أنى أمتلكها : هل أعرفها ؟ .. لم تجب .. تجرأت أكثر .. وقفت أمامها مباشرة .. قلت لها بحماس : قصة غريبة و لكنى أرفض النهاية .. لست أراها حمقاء .. بل على

العكس أمرأة مخلصة حاولت الحفاظ على بيتها بكل قوة بصرف النظر عما أنتهت إليه الأمور .. بل أظن أنها محظوظة .. لو كان يحبها حقاً ما تخلى عنها في النهاية . لم تتكلم فواصلت بحرارة : من يدرى .. ربما ما حدث كان في مصلحة شخص آخر .. شخص أخر يحبها و يتمنى أمرأة مثلها .. شخص لن يضحى بها من أجل أمرأة أخرى مهما فعلت حتى لو جلبت ألف أمرأة إلى منزلها.. لأنه لن يرى ببساطة سواها .. و لن يحلم بأمرأة أخرى و هو معها .. أطرقت للأرض دون كلام .. تابعت كلامى بتهور و أندفاع صادق : شخص مجنون يقف أمامها و هو يصارحها بمشاعره نحوها و ينتظر جوابها .. أبتسمت و هذه المرة لم تستطع أن تمنع دمعة سالت من عينها .. لم تتكلم و إن كان صمتها يحمل كل الكلام .. أسندت يدها إلى السياج بينما وقفت على مسافة قريبة أرقبها بدفء قبل أن يجذبنا منظر النيل و قد أنعكست عليه أضواء الشاطئ

الحاجز

أقتربت من النافذة .. صاحت بفرح : أخيراً جاء

نظرت إليها بغيظ .. راقبتها بدون كلام و هى تعدو مسرعة نحو الباب ترتسم على وجهها تلك الأبتسامة الطفولية البلهاء .. كتمت دهشتى و لم أشأ أن أعلق على تصرفها .. ما زال صدى كلامتها يدوى في أذنى و هى تشكو لى بمرارة من قسوة معاملته .. و منديلها المبلل بالدموع ما زلت أراه عند طرف المائدة لم يبرح مكانه كشاهد أثبات لا يكذب على معانتها معه .. و الآن تهرع للقائه ! .. بل و أشاهدها تغالب شوقها بصعوبة للأرتماء في أحضانه .. لم يعد يدهشنى سلوكها .. بمجرد أن يتناهى إلى سمعها وقع خطواته حتى تستجمع نفسها سريعاً .. تنسى أو تتناسى كل ما قالته .. و تستقبله بقلب صاف تطرح سريعاً منه كل معاناتها السابقة معه .. أعلم أنها تعشقه .. و لكن هل حبها مبرر كاف يتيح لها أن تمنحه صك غفران مجانى عن كل أخطائه ، و تضع ما تبقى من كرامتها تحت أقدامه مرة أخرى بشكل مهين يثير الشفقة

نهـضت .. لم تلاحظنـى و أنـا أتجـه للبـاب بعـد أن أنـشغلت بتعـديل زينتها .. أثرت أن أنسل بعيداً .. لا أفضل رؤيتهـا و هـى ترتمـى في أحـضان هذا الذئب .. مسكينة هى .. هل تظن أن غفرانها المتواصل لكل آثامه سيجعل منه أنساناً أفضل ، و أن تقمصها دوماً لـدور الـشهيد سـيرغمه علـى أن يعيـد حساباته .. أنانى هو لا يجيد التفكير إلا في نفسه .. كـائن لم يخلـق ليعـشق أكثر مـن ذاتـه و لا يكفـي فـضاء العـالم بأكملـه لأسـتيعاب حجـم غـروره .. يدهشنى أستسلامها الكامـل لأنـسان لا يـدرك قيمتهـا و لا يكـترث لأى مـن مشاعرها التي تغدقها عليه بلا حساب .. بـل و يتعمـد أن يجرحهـا بـسخاء يوازى مدى عشقها له .. خرجت من عندها بلا كـلام ، سمعـت وقـع أقدامـه على الدرج ففضلت أن أستقل المصعد كى أتجنب مقابلته .. لـست مثلـها .. لا أستطيع التحكم في مشاعرى و ما يدور في قلبى يطلقه دوماً لسانى مهما بلغـت درجة حدته .. لو قابلته ربما لقنته درساً قاسياً في كيفية أن يتصرف كرجـل و يتوقف عن أهانة من تحبه حتى الجنون ، و قد أندم على ذلك لاحقاً لأنـى وقتها ربما أخسر صديقتى

أعرفها من فترة طويلة .. أكاد أجزم بأنها صـديقتى الوحيـدة .. لا أنكـر أنى أخاف عليها خاصة أنها تمتلك قلباً مرهفاً لا يتيح لصاحبه القـدرة علـى التكيف وسط عالم قاسى كعالم البشر .. قلـب حـساس قابـل للكـسر لا تلتـئم

جراحه من صدمات العالم بسهولة .. تعرفت عليها قبل عامان من زواجها .. في نفس الوقت تقريباً الذي ظهر في حياتها ذلك المخادع .. أعتدنا أن نقضى كثير من الوقت معاً و لم نكن نفترق إلا قليلاً .. منذ تعرفت عليه و معظم حديثها لا يدور إلا حوله .. غرامها المفاجئ به أثار دهشتى .. أدرك سمعته جيداً .. ذئب نساء لا يسعده أكثر من أن تتضخم قائمة ضحاياه ، و لا يرضى غروره سوى ممارسة لعبة تحطيم القلوب بلا توقف .. أندفعت في علاقتها معه بشكل أعمى تجاوز كل الحدود .. أنخدعت بمظهره و كلامه الخادع .. لم تدرك أنه صائد قلوب محترف لا يجيد أكثر من التنكر في ثوب عاشق للوصول إلى هدفه .. حاولت تحذيرها منه عدة مرات و لفت أنظارها إلى ماضيه الملوث لكنها لم تستمع لى .. و واصلت أبحارها نحوه بأستسلام غير ملقية بالاً بكم التحذيرات التي قابلتها في طريقها

رقيقة هى تفكر ألف مرة قبل أن تتفوه بكلمة يمكن أن تؤذى أحداً .. ما زلت أتذكر جيداً المرة الوحيدة التي خرجت فيها عن شعورها معى ؛ أخبرتها يومها أنى رأيته بصحبة أمرأة أخرى و كنت صادقة تماماً .. لم تتحمل كلامى و كادت تفقد عقلها .. أرتعدت شفتاها و هى ترمينى بالكذب و أتهمتنى بقسوة بأنى أغار منها .. ظهر الأنفعال على وجهها واضحاً قبل أن تنفجر في بكاء طويل .. طلبت منى وقتها لأول مرة أن أفارقها .. رغم قوة

صداقتنا إلا أنها كادت أن تنهار بسبب مكاشفتى لها بحقيقتـه ، و أسـتغرق الأمر وقت طويل حقاً لنعود كما كنا .. تعمدت من وقتها أن أكتم أتهامـاتى و شكوكى تجاهه ، و أن أتجنب أثارة الحديث حول خياناته لها مرة أخرى

حاولت أن أحذرها من أن تندفع في علاقتها معـه دون فائـدة .. قـرأت أن الحب أعمى و لكنى لم أدرك أنه بهذا الغباء .. من أول لحظة في علاقتهمـا و هو يعاملها كدمية يحركها كيفما يشاء .. أستغلها كثيراً .. بريئة هى في زمن تصبح فيه البراءة عيباً جـسيماً يـسعى الجميـع لمداواتـه ، و عبئـاً يـسعى أى شخص للتخلص منه .. لم تعتاد التعامل مع أمثاله و التلون مـع كـل شـخص كما يجيد البشر .. كانت مجرد رقم بالنسبه لـه يـضاف إلى قائمـة مغامراتـه يرضى غروره فيما بعد .. و لكن الأمر تغير بعد أن أدرك قيمة ثراء والدها .. لم تكن لها تجارب أو خبرات .. مجرد حب ساذج على فترات من حياتها لم يرتقـى لتلـك الدرجـة .. خطـط لحـرب طويلـة ليوقعهـا في شـباكه و لكنهـا أنهزمت من أول جولة .. أعلنت أستسلامها بعد أن نجح في أن يحـرك قلبهـا للمرة الأولى في حياتها .. أنـدفعت معـه بكـل مـشاعرها .. وقفـت بجانبـه و ساعدته بلا حدود .. ألححت عليها كثيراً لأعادة التفكير في علاقـة مـصيرها الفشل .. ليست علاقة الحب هى ما تنشأ عادة بين الحمل و الـصياد و لكنهـا لم تستمع إلى .. لا أنكر أنى كرهته من اللحظة الأولى التي وقعت فيها عيناى

عليه .. و لكن القلب الذي يعشق تشير بوصلته دوماً بأتجاه من يحب فيبحر نحوه حتى لو أدرك أن أتجاهه خاطئاً ..

بعد زواج سريع عارضه أهلها دون فائدة ، أنتقلت للسكن بجوارها .. أزدادت صداقتنا عمقاً بعد أن أكتشفت متأخرة بعد زواجها أن له مخالبا و أنياباً .. لم أشأ أن أتخلى عنها أنا الأخرى و أتركها في مواجهة محنتها معه بمفردها .. لو فعلت لأنهارت بلا جدال .. ما زلت الأذن التي تتلقى بصبر كل شكواها و القلب الذي يتسع ليشاركها محنتها .. صدمتها فيه بعد الزواج كانت أكبر من أن تتحملها فانطوت أكثر .. أزدادت نحولاً و ضعفاً مع الأيام و أنا أشاهدها عاجزة .. بدأنا نلتقى بشكل متكرر في الفترة الأخيرة .. تلجأ إلى عقب كل شجار بينهما لعلها تسكب بعض مما بداخلها أمامى .. بمجرد أن ينصرف حتى تهرع للأتصال بى و تفرغ في حضورى كل مشاعرها السلبية .. تستعيد بعدها قليل من هدوئها و قوتها لفترة فتتمكن من مواصلة الحياة معه و تحمل أهاناته المستمرة..

أشعر بالمرارة من خياناته المتكررة لها .. مرارة تدفعنى لمحاولة رعايتها أكثر .. بداخلها طفل صغير يحتاج دوماً إلى عناية لم يفطم بعد على مواجهة عالم تملئه الخيانة .. أشعر بكل ما تقاسيه و أقف عاجزة عن مساعدتها .. كثيراً ما تساءلت .. إلى متى تتحمل كل ذلك .. أستقبلت حياتها معه في

البداية بأشراق على أمل أن يعوضها فزاد من عمق جراحها .. حقيقته الصادمة لها أفقدتها حيويتها وأتزانها فذبلت مع مرور الوقت .. صبرت على أختيارها و تحملت نتائجه لفترة بشجاعة لم أظن أنها تمتلكها .. حاولت أن تستعيده أكثر من مرة و لكنه رفض كل قيودها .. هرب منها بعد أن أكتشف أن دجاجته التي خطط طويلاً لأصطيادها لم تعد قادرة أن تنتج و تمنحه كالسابق بيضاً ذهبياً ، خاصة بعد أن هجرها أهلها .. حلق في سمائه بمفرده بعيداً عن فريسة تركها عاجزة عن الطيران .. تحول حبها إلي جنون ، فأستسلمت له لعله يكون أرحم من واقع أشد ألماً لا تجد خلاصاً منه ..

أنتابنى اليأس ذات مرة من أصلاحها فوجهت لها كلاماً حاداً لا أدرك كيف تفوهت به ، و أتخذت قرارى بأن أواصل حياتى بدونها .. لم يعد هناك أمل أنتظره في أصلاحها .. و لكنى علمت لاحقاً أنها أنهارت و وقعت فريسة سهلة للمرض فلم تقدر حتى على مغادرة الفراش .. زات شفقتى نحوها و صممت أن لا أتخلى عنها مجدداً .. حاولت أن أساعدها .. ضغطت كثيراً عليها و بشكل مستمر حتى لجأت أخيراً لأهلها تشكو منه .. و لكنهم فضلوا عدم التدخل بعد أن أختارت طريقها بنفسها .. و لم تكرر المحاولة مرة أخرى

حكمى عليه كان صائباً من البداية و تزيدنى الأيام قناعة به .. أنسان

مختل وجد فريسة سهلة فلم يتردد في التلاعب بها .. في أحد المرات أرتنى آثار ضربه لها .. لم أصدق أن يصل تهوره و أستهانته بها لتلك الدرجة .. لم أتمالك نفسى .. أنفجرت فيها .. بكت بحرقة و هى تعدنى أن لا تقف ساكنة أمام همجيته الغريزية معها مرة أخرى .. كنت أعلم أنها تكذب و أنها ستواصل التخاذل أمامه .. وددت لو أذهب إليه و ألقنه درساً لا ينساه طوال عمره و لكنها منعتنى بصعوبة .. لو كان الأمر بيدى لأقدمت على أى تصرف لأحطم غروره حتى لو وصل الامر إلى أن أحطم رأسه بيدى ..

فى مساء ذلك اليوم تلقيت أتصالاً منها .. لم أفهم معظم كلامها فهرعت إليها على الفور .. تفاجئت بها .. لم أتعرف عليها للوهلة الأولى .. أعز صديقاتى ترتمى أمامى في حالة يصعب وصفها .. تنتفض خوفاً و تتنفس بصعوبة .. ملابسها ممزقة و الدماء تسيل بغزارة من جرح أعلى شفتيها فتندفع لتغطى النصف الأسفل من وجهها و رقبتها .. و كدمات حديثة تنتشر بوضوح على ذراعيها و أسفل عينها .. بمجرد أن رأتنى حتى أنهارت أرضاً .. أسرعت لنجدتها .. لم تكن في حالة من الوعى تسمح لها بأن تتكلم و لكنى أدركت ما حدث .. أنتابنى غضب لم أستطع تجاهله .. كنت أكره هذا الشخص من قبل و الآن لم أعد أحتمل وجوده بيننا على أرض واحدة .. حاولت أن تستجمع نفسها لتتكلم و بذلت مجهوداً لذلك فلم تستطع .. ذهبت

لأحضر بعض الماء و عدت لأجدها فاقدة الوعى .. مددتها على الأرض و تركتها ملقاة كجثة أقرب منها إلى عالم الأحياء ، و لم أفكر سوى في شئ واحد .. أندفعت إليه بلا منطق .. أندفعت كالمجنونة بقوة مشاعر حجزتها لفترة طويلة .. سمعت صوته من غرفة المكتب فتوجهت لهناك .. أقتحمت المكتب بثبات .. رأيته يدخن و يحادث شخص ما على الهاتف بصوت عال .. من صوت ضحكاته أدركت أنها أحد عاهراته .. أنهى المكالمة بمجرد أن أقتحمت المكتب بشكل مفاجئ .. أندهش لوجودى أمامه بهذا الشكل .. لوح بيده و صاح بكلمات غاضبة لم أتبينها فلم أعد قادرة على سماع شئ سوى صوت خفقات قلبى العالية ، و أنين صديقتى الذي ما زال يتردد في أذنى .. نظرت إليه بثبات و الشرر يتطاير من عينى .. توقف عن كلامه و أنهى مكالمته بسرعة .. تطلع إلى لبرهة ثم تقدم نحوى ببطء و هو يبتسم بسخرية أشعلت مزيدً من النار في قلبى .. رغم غضبى تجمدت في مكانى و لم أعرف كيف أتصرف .. تذكرت كل ما حدث لصديقتى .. كل أهاناته المستمرة لها و عذابها على يديه .. و كرهى و بغضى الذي أكنه له من فترة ليست بالقصيرة .. راقبته يدنو منى ببطء .. أقترب منى و أبتسامة أستهتار تتراقص على شفتيه حتى وقف بمواجهتى تماماً .. مد يده تجاهى محاولاً أن يلمسنى .. تطلع لوجهى لثوان ، ثم تحسس خدى دون أن أتحرك .. شعرت

بلمسة يده الباردة .. أقشعر بدنى لكنى لم أتحرك .. تجمدت أطرافى فجأة .. أغمضت عينى لبرهه و هو يواصل لمس خدى .. شعرت بتخاذل فتراجعت لخطوة بأستسلام .. شعرت بأنفاسه الحارة تنعكس على وجهى .. ألتصقت بالمكتبة من خلفى .. لم أشعر إلا و يدى تتحسس تمثال صغير ، تمثال معدنى على هيئة فتاة راقصة على رف المكتبة .. تشبثت به بسرعة .. تنفست بعمق لبرهة .. فتحت عينى ثم بسرعة رفعت التمثال بيدى عالياً لأهوى به عليه .. و لكنه حمى وجهه بيديه و تراجع في رد فعل سريع قبل أن أحكم ضربتى فلم يصب بأذى كبير .. رأيت نظرات الغضب تطل من عينيه .. أندفع نحوى .. تراجعت خطوة للوراء و في تلك المرة أحكمت قبضتى على التمثال حتى أصبح كأنه قطعة من يدى .. ما أن أندفع نحوى حتى حطمته على رأسه .. تلك المرة ترنح و بدأ خيط من الدماء يندفع متعرجاً من مقدمة رأسه .. تحولت نظرة الغضب التي كانت ترتسم على وجهه إلى ذهول و يده تتحسس بلا وعى السائل الأحمر اللزج .. أنسال الدم بعدها غزيراً .. لم أشأ أن أتوقف .. تراجع خطوات فدنوت منه و بيدى التمثال .. قبل أن يفيق من صدمته رفعته التمثال لأعلى قدر أمكانى .. تريثت لبرهة ثم هويت به عليه .. صوت مكتوم أنتشيت به .. كررت الضربة دون أرادة أو وعى .. لم أعرف كم مرة رفعت يدى و أنهلت عليه .. حتى بعد أن خمدت

حركته تماماً واصلت ضربى له حتى خارت قواى .. نهضت و أنا ألاحق أنفاسى بصعوبة .. تسارعت نبضات قلبى بشكل لم أختبره به من قبل .. غطت الدماء وجهه و تناثرت على جسمى و ملابسى .. نهضت ببطء .. مشيت لحظات فترنحت و كدت أسقط .. تمالكت نفسى بصعوبة .. نظرت للجثمان الغارق في الدماء بلا شعور .. تقدمت نحو الباب و أنا أستند على جدران المكتبة .. قبل أن أخرج لمحت أنعكاس صورتى في المرآة .. شئ ما جذب أنتباهى للعودة إليها .. تقدمت للمرآة و وقفت أمامها لثوان أتطلع لنفسى دون وعى .. وجه محتنق و يدان ترتعشان و فم مرتجف لكن عيناى تلمعان بشكل غريب لم أره من قبل .. تطلعت للمرآة مرة أخرى بعمق بعد أن أقتربت منها أكثر .. ثم أرتسمت على وجهى شبح أبتسامة ضئيلة رأيتها بوضوح

الغريب أنى لم أعد أرى صورتى في المرآه .. كانت تنعكس عليها صورة أمرأة أخرى أشبه بصديقتى ، أمرأة يديها تقطر دماً و كدمات تعلو وجهها و ذراعيها .. على شفتيها أبتسامة ضئيلة .. و خيط من الدماء ينساب بوضوح من جرح صغير أعلى شفتيها

المقلب

-أنا لا أفكر في هذا الأمر .. أبعدا عنى

هكذا قالها محمود و هو يشير لنا بالأبتعاد .. و لكن كان في عينيه نظرة أقتناع بما نقوله يحاول أن يخفيها .. غمزت لمحسن في يده خلسه لكى نواصل عليه الضغط حتى يقع في الحيلة الجديدة التي دبرناها له

نحن الثلاثة أصدقاء منذ الطفولة .. نسكن في حارة واحدة .. محمود يصغرنا بعام واحد .. درس في الأزهر و والده أمام مسجد حارتنا البسيطة .. نشأ طيباً مثل أبيه .. يتعامل مع الناس بالفطرة و بحسن نية أوقعته في كثير من المشاكل .. لا نكاد نفترق .. نتقابل أحياناً للصلاة في المسجد فنصلى وراءه خاصة أن صوته جميل .. يطلقون عليه في حارتنا الشيخ محمود رغم صغر سنه .. خبرته في الحياة قليلة و لم تعركه الدنيا بعد .. و لذلك كان صيداً سهلاً لأثنان من العابثين مثلنا أنا و محسن

قال لنا أحد جيراننا من قبل : أنتما شيطانان .. أبعدا عن المسكين محمود و لكننا كنا نتسلى فقط .. كنا نضايقه و ندبر له العديد من المقالب ..

نعترف أننا في بعض الأحيان كنا نتجاوز الحد .. نوقعه في مطبات صعبة و لكننا لم نقصد من وراءها سوى الضحك .. صحيح أنه كان يغضب منا أحياناً و لكنه سرعان ما ينسى و يسامحنا .. لا يستطيع أن يحمل في قلبه أى شعور سئ تجاه أحد .. و لا في عقله متسع لبذرة من خبث أو دهاء .. و هذا ما كان يشجعنا

نتذكر يوم أن قرر الذهاب للقاهرة لأول مرة .. أقنعناه بركوب القطار .. حجزنا له التذكرة .. أوصلناه إلى القطار .. ناولناه الحقائب و ودعناه .. أنطلق القطار و هو يشير لنا .. و أنطلقت معه ضحكاتنا .. لم يعرف إلا بعد ساعة أن القطار كان متجهاً لأسيوط .. يومها أقسم أنه لن يكلمنا .. و لكنه لم يستطع و صام ثلاثة أيام .. و لم نستطع نحن أيضاً أن نتوقف عن مواصلة مقالبنا له

فى تلك المرة كان الأمر مسلياً في البداية .. مجرد لعبة .. لا أعلم متى بدأت تحديداً .. كل ما أتذكره أننا أجتمعنا في أحد الأيام بعد الأنتهاء من صلاة العشاء .. جلسنا نتجاذب الحديث كعادتنا في عدة موضوعات قبل أن يأتى موضوع الرؤيا الصالحة في سياق حديثنا .. و بدأ كل منا يحكى عن رؤية غريبة رآها في منامه من باب التسلية .. كنا نحكى و نحن نضحك .. و جاء الدور على محمود .. نظر للأرض و سكت قليلاً فشجعناه على مشاركتنا

بالحديث فأمتنع لبرهه قبل أن يستجيب مضطراً تحت ألحاحنا المتواصل..

فى تلك الفترة أنتشرت بشكل مكثف على الفضائيات بـرامج عـن تفـسير الأحلام .. و كان نعلم أن محمود بدأ في الأونة الأخيرة ينجـذب إلى عـدد مـن تلك البرامج و يصدقها .. بل و يتابعها و يدافع عنهـا بحمـاس .. بينمـا كنـا نسخر منها أنا و محسن .. و نراها وسائل للنـصب علـى النـاس .. و مجـرد هراء لا طائل منه .. أبتسم محمود في براءة عندما حان عليـه الـدور .. حكـى لنا بعفوية عن رؤية غريبة واتته من فترة قصيرة فقط .. كان يحكى أنـه رأى فتاة يعرفها من جيرانه .. و قد أبتسمت له ثم كشفت عن شعرها أمامـه رغـم المعروف عن تدينها و بعدها مدت له يدها بشئ لا يتذكره و هـى تـصافحه ، قبل أن تختفى سريعاً من أمامه .. روى لنا الأمر ببساطة شـديدة و بتلقائيتـه المعهودة .. و ظل بعدها يستغفر كثيراً و كأنه أرتكب خطيئـة مـا .. لم يهـتم محسن بما قاله محمود .. مثـل تلـك الأحـلام كنـا نراهـا كـثيراً .. خيـالات مراهقة تنتابنا أحياناً .. و ربما كان محمود في واقع الأمر معجباً بتلك الفتـاة يكتم أعجابه فحلم بها بلا وعى .. و هنا فقط واتتنى فكرة لا أعلم كيف شقت طريقها إلى عقلى بسهولة .. مقلب جديد ربما .. و هو الذي منحنا الطعم تلك المرة الذي نصطاده به .. ساد الصمت بيننا لبرهه بعد أن أنهى محمود كلامـه ، فسألته متصنعاً البراءة إن كان يعرف تلك الفتاة و أهلـها جيـداً .. أجـابنى

بحماس : بالطبع .. جيراننا منذ أكثر من خمس سنوات .. رأيته يقترب من الفخ أكثر .. سألته بأهتمام أكبر : و هل تشهد على أخلاقها .. رد بحسن نية : أكيد .. بنت ممتازة دون أدنى شك

لم يفهم محسن سبب أسئلتى .. غمزت له أن ينتظر و تعمدت الصمت .. تظاهرت بالتفكير لبرهة .. أستغرب محمود طول سكونى على غير العادة فسألنى عما أفكر به .. هززت رأسى متصنعاً الحيرة قبل أن أقول بهدوء : يبدو من الحلم الذي حكيته يا محمود أنه رؤية صالحة..

رأيت ملامح الدهشة ترتسم على وجهه بوضوح ، لم يتمالك نفسه فسأل : هل أنت متأكد مما تقوله .. كيف ؟ .. نجحت في أثارة فضوله إذن .. أردفت : ألم تكن تتكلم منذ قليل عن الرؤية الصالحة .. هذا الحلم به كل شروط و علامات الرؤية الصالحة كما نعرفها بكل تأكيد ..

نظر إلى لبرهه دون أن يتكلم .. رأيته و قد بدأ يفكر في الأمر .. لم أمهله طويلاً فملت على أذنه قائلاً : أتعرف ما هو التفسير المحتمل له ..

أكتسى وجهه بفضول لم يستطع أن يخفيه .. أقترب منى أكثر يترقب أجابتى بشغف .. قلت له مبتسماً : هذا الحلم ربما يكون علامة مؤكدة بالنسبة لك يا محمود..

سكت فلم يتكلم .. وجدته يصغى إلى بكل جوارحه .. أكملت بحماس و

أنا أميل على أذنه : علامة على أنك ستقترن بتلك المرأة في المستقبل .. ربما ستتزوجها عما قريب كما يبدو

حاول محسن أن يكتم ضحكة كادت أن تخرج منه و قد فهم ما أرمى إليه .. رمقنى محمود بأستنكار تام محاولاً أن ينهض بعيداً عنى .. أقتربت منه .. لن أدع تلك الفرصة تفلت منى .. شددت على يده ثم سألته فجأة : أين تكشف المرأة شعرها ؟ .. لم يرد .. أردفت مجادلاً : أليس في البيت .. أمام أهلها أو زوجها ؟ أجابنى بعد تردد : صحيح .. أكملت مفسراً : أنت لست من أهلها بالطبع حتى تكشف عن شعرها أمامك .. إذن لا بد أنك زوجها في الحلم لتقوم بذلك دون حرج .. كما أنها صافحتك بيدها و هذا دليل واضح على الأرتباط .. و أعطتك شيئاً ما ربما يكون خاتم الزواج أو موافقتها على الأمر .. وأنت بنفسك أثنيت على أخلاقها .. و قلت أنهم جيرانك من فترة طويلة .. هذا الحلم علامة واضحة لا تقبل الشك على أنك ستتزوجها ..

فهم محسن الحيلة الجديدة .. كنا نتسلى فقط .. كنا نعرف محمود خجولاً و لم يفكر في الزواج من قبل .. كما أننا كنا ننتقد فكرة أيمانه الغريب بتفسير الأحلام .. و في الواقع لم نكن نعرف الفتاة التي يتكلم عنها .. كل ما نعرفه أنها من عائلة ميسورة الحال و تقدم لها كثيرون بالفعل من قبل و لكنها رفضت كل من تقدم إليها .. كانت سترفض محمود قطعاً فمحمود لا

يملك من حطام الدنيا أى شئ يشفع و لو قليلاً لصاحبه .. أرتبك محمود قليلاً بسبب كلامنا و هذا دليل ظاهر على أنه بدأ ينخدع به .. سرح ببصره بعيداً .. ربما كان يتخيلها الآن زوجة له .. أفاق سريعاً .. هز رأسه بعنف بعدها قبل أن يصيح بغضب محاولاً أنهاء الحديث : لا .. أنا لا أفكر فيها أطلاقاً .. أبعدا عنى

نهض من مجلسه فجأة .. تطلع إلى طويلاً محاولاً أن يتبين مدى جديتى .. تصنعت الجد .. طلب بحسم أن لا نخوض في هذا الأمر مرة أخرى

سرنا معه بصمت .. أدركنا بوضوح أنه لم يقتنع بكلامنا بعد .. لم نيأس بطبيعة الحال .. كل ما سنحتاجه فقط بعض الوقت و لكننا سنتمكن في النهاية من أقناعه .. نعرفه جيداً .. عرضنا عليه بتحدى قبل أن ينصرف أن نسأل أحد الشيوخ من المهتمين بتفسير الأحلام .. فكر لبرهه ثم وافق بعد تردد .. أتفقنا على هذا الحل

بمجرد أن أنصرف حتى أنفجرنا في الضحك أنا و محسن .. و تخيلنا شكل محمود بعد أن يعرف الحقيقة .. ربما ستكون صدمة له تدفعه للتفكير أكثر من مرة و بموضوعية أكبر في المستقبل قبل أن يصدق أى خرافات يسمعها فيؤمن بها

فى المساء التالى أستعان محسن بأحد العمال .. رجل أشيب يبدو عليه

الوقـار يعمـل كحـارس بـسيط في نفـس الـشركة الـتي يعمـل بهـا محـسن كمحاسب .. و أدعى أنه يجيد تفسير الأحلام .. في البدايـة تـردد محمـود في قص أى شئ مما حلم به .. تردد طويلاً في الواقع قبل أن يحكى في النهاية عن حلمه للتخلص من ضغطنا المتواصل عليه .. بالطبع أخبره صديقنا بما أردنا .. و لتأكيد الأمر أكثر .. حكى له عن أحلام كثيرة مشابهه فسرها و ظهر صحة تفسيره لها فيما بعد .. لم يصدر عن محمود رداً و إن كان واضحاً أن أعتراضه على الأمر بدأ يقل

ظللنا عدة أيام نلح عليه .. في أحد المرات زل لسانه .. صـاح بنـا : كيـف أتقدم إليها و أنت تدركون جيداً مدى ثراء عائلتها ، و أنا لست كفؤاً لها بأى حال .. أخشى أن أقابل بالرفض من أهلها إن فعلت . فضح محمود ما بداخله ببساطه .. أدركنا أنه بدأ يفكر في الموضوع بجدية .. و أن خطتنا نجحت

كنا بالطبع ننوى أن نخبره أنها مزحة في الوقت المناسب .. و لكن حـدث كل شئ بعدها بسرعة كبيرة .. سافرت أنا للخارج في بعثة دراسية بعد عـدة أسابيع .. بينما تحصل محسن على عقد عمل في أحد الدول العربية .. نـسينا الموضوع تماماً أو أنـشغلنا بـه وسط أستعدادنا للـسفر و أنهماكنـا في الأعـداد لخوض تجربة الغربة و بدء حياة جديدة طالما سـعينا إليهـا .. كنـا نـوقن أن محمود لن يفكر بالموضوع مرة أخرى .. و أنه سينـسى الأمـر برمتـه بمجـرد

أبتعادنا عنه .. تراسلنا في البداية لفترة ثم أنقطعت أخبارنا عن بعضنا البعض تماماً بعد سنوات قليلة

جرفنا فيضان الغربة .. و شغلتنا مشاكل الحياة عن التفكير إلا في أنفسنا .. عندما رجعت بعد عدة سنوات في أجازة قصيرة كان أول ما حرصت على القيام به هو السؤال عن محسن و محمود .. أكتشفت أن كل منهما غير مكان سكنه .. سألت عن محسن أولاً .. عرفت أنه عاد للوطن منذ شهور قليلة .. وجدت عنوانه بصعوبة بعد أن سألت أحد أقاربه .. ذهبت إليه على الفور يدفعنى الشوق لرؤيته .. قابلته في مكان عمله الجديد .. بمجرد أن رآنى حتى هرع إلى لقائى بحرارة .. جلسنا بعدها نتكلم بشغف و نحن نستعيد ماضينا .. أدركت من الوهلة الأولى أن صديقى تغير حقاً .. شاب شعره و فقد مرحه القديم المحبب و أختفت تلك الأبتسامة الجميلة التي كانت تميزه .. من الواضح أن سنوات الغربة تركت آثارها القاسية عليه .. تحاورنا طويلاً .. عرفت منه أنه عانى كثيراً في غربته قبل أن يعود بمبلغ مالى لا بأس به يحاول أن يبدأ به حياة جديدة هنا .. بدأ مشروعاً صغيراً يعمل به طوال اليوم بلا راحة .. صارحته بدورى أننى لا أستطيع العودة و الأستقرار في الوطن قريباً رغم تلهفى و شوقى لذلك الأمر .. لن أتمكن من العثور على عمل هنا يوفر لى نصف ما أتقاضاه بالخارج .. و لا نفس المكانة

بالطبع أو حتى أخرى قريبة منها .. من الواضح أن الحياة أصبحت صعبة حقاً على كلاً منا

بدأنا نستعيد ذكرياتنا .. تذكرنا محمود .. ضحكنا .. سألت محسن عنه .. أخبرنى أنه تحصل على عنوانه الجديد من فترة طويلة لكنه لم يستطع زيارته بسبب أنشغاله في مشروعه الجديد و أعادة ترتيب حياته بعد سنوات الغربة .. لم نفكر طويلاً كعادتنا .. و قررنا أن ننطلق لزيارته في أقرب وقت

فى اليوم التالى توجهنا لزيارته ، كان العنوان في حى راق .. عندما سألت طفل يلهو في الشارع عن العنوان أشار إلى عمارة شاهقة .. نظرنا لبعضنا .. قلت لمحسن : هل يمكن لمحمود أن يسكن أحد شقق تلك العمارة الفاخرة .. لا بد أن الله قد رزقه من وسع .. سألت الطفل عن رقم شقة محمود .. تطلع إلى بعدم فهم لبرهه قبل أن يجيبنى في براءة بأنه هو صاحب العمارة

تملكنا الذهول للحظات .. ساد الصمت بينا لثوان .. أشرت لمحسن الذي تسمر في مكانه من المفاجأة .. أقتربنا من البناية .. سألت البواب عن صاحبها .. أستئذنا لينادى على "الحاج محمود" .. غاب عنا في الداخل سريعاً فلم نستطع أن نوجه له مزيد من الأسئلة تشبع فضولنا .. لحظات و كان محمود يقف أمامنا .. بمجرد أن رآنا حتى أستقلبنا بترحاب شديد .. لم

نصدق أعيننا عندما رأيناه .. أمتلأ جسمه قليلاً و شاب شعره لكنه ما زال يمتلك تلك الأبتسامة الصافية .. يرتدى عباءة فاخرة يفوح منها رائحة عطر غالى بينما يده كالعادة تداعب مسبحته .. نفس مسبحته القديمة كما نتذكرها .. دعانا بالترحاب إلى شقته الفخمة .. بدأنا نسترجع ذكرياتنا بشوق .. سألنا عن أخبارنا .. لم يتغير قلبه .. ما زال طيباً كما كان .. نقياً كما عهدناه من قبل .. مر الوقت سريعاً فلم نشعر به و نحن نتكلم و نضحك من قلوبنا .. تكلمنا عن المقالب التي كنا ندبرها له فكان يضحك معنا بعفوية بلا غضب .. و لكن ظل تساؤل هام يدور في أذهاننا و يلح علينا .. سألت محمود فجأة : من أين لك كل هذا يا شيخ .. لا تقل لى أنك ورثت

ضحك بعفوية .. رد ببساطة : أنتما السبب

رددت في دهشة : نحن .. كيف ؟ قال بتلقائية : نعم .. أسند ظهره للوراء .. أبتسم في مرح .. سأل بهدوء : أتتذكرون المرأة التي قلتم لى أننى يجب أن أتزوجها .. جارتنا التي رأيتها في الحلم.

لبرهه لم أتذكر قبل أن أستجمع أفكارى .. كنا قد نسينا هذا الأمر مع مرور الوقت .. أسقطناه من حساباتنا تماماً .. قطع أفكارى و هو يكمل : لقد تزوجتها .. نعم .. أقتنعت بكلامكما بعد فترة أنها رؤية صالحة .. تقدمت إلى أهلها بعد تردد طويل و أنا أقدم ساقاً و أؤخر الأخرى .. من الغريب أنهم

وافقوا رغم قلة أمكانياتى المادية .. والدها رجل متدين و قال أنه يهمه الأخلاق في المقام الأول ، لكنى علمت لاحقاً أن الفضل في ذلك يرجع في الواقع إليها .. لم تبدى أعتراض على طلبى ليدها كما حدث مع كل من تقدم إليها من قبل فلم يملك والدها إلا الموافقة .. بعد وفاة والدها .. ورثت مبلغاً بسيطاً من المال أدخرناه و قطعة من الأرض كبيرة .. قطعة أرض زراعية على مدخل المدينة أهملناها لفترة .. بعد عدة أشهر دخلت الأرض في حيز العمران .. قدرت ثمنها بمبلغ كبير .. بعناها فوراً بلا تردد .. كان أول ما فعلناه أن سافرنا للحج أنا و هى .. ثم بنينا تلك العمارة بكل ما معنا .. الحمد لله .. لا أنكر أن الله رزقنا من فضله .. و لا يمكننى أن أنسى بالطبع ما حييت فضلكما

خرجنا من عنده بعد ساعة أو أكثر فأصر أن يصحبنا للخارج بنفسه .. ما زلنا في حالة ذهول مما سمعناه .. لم نشأ أن نخبره أنها كانت مجرد مزحة .. مقلب آخر لنضحك عليه .. سألنى محسن هامساً و نحن في طريقنا للخارج : هل ستخبره بالحقيقة ؟ لم أرد .. أى حقيقة .. لم أعد أجد تفسيراً لما حدث .. أنصرفنا نجهد أذهاننا و نحن نستعيد و نفكر في كل ما سمعناه بينما محمود ما زال يقف أمام بنايته الضخمة ليودعنا مبتسماً و هو يداعب حبات مسبحته القديمة

الصياد و السمكة

حمل شبكته و خرج ليصطاد ، كان يتمنى أن يرجع اليوم بصيد كبير ، لم يأكل منذ ثلاثة أيام ، تطلع للشباك بترقب يكاد يتوسل إليها ، لن يتحمل الجوع أكثر من ذلك . كثيراً ما مرت عليه أيام مماثلة يخرج و يرجع خالى الوفاض و لكنه يمنى نفسه اليوم بصيد وفير يعوض به جفاء البحر طيلة الأيام الثلاث الماضية .. و إلا سيضطر إلى بيع شباكه ، كل ما يمتلكه من حطام الدنيا . بدأت الشمس تظهر في الأفق و تعكس أشعتها المبكرة على سطح الماء ، رمى الشباك لأول مرة ، فعادت إليه خاوية ، عاود المحاولة بجهد أكبر و في كل مرة تخرج له كما رماها كأنما تعانده . زاد القلق بداخله مع مرور الساعات بلا جديد يحمله إليه البحر . قرص الشمس الآن يتوسط السماء و حرارته تلهب جبينه ، و البحر الواسع يصر على أن يبخل عليه برزقه ، واصل العمل بجهد مضاعف حتى أوشك النهار أن ينقضى و لكن ما زال البحر يقف ضده بأصرار ، تطلع لصفحة المياه بأحباط ، لا مفر إذن من بيع الشباك . لم يشعر بمرور الوقت إلا عندما بدأ يرى الأشياء بصعوبة ، أعياه التعب ،

حتى لو أصطاد الآن لن يتمكن من بيع سمكه بعد أن أنفض سوق السمك ، مع ذلك قرر أن يرمى الشباك للمرة الأخيرة بدافع اليأس ، تركها في المياه لمدة أطول ، جلس بجوارها يفكر ، يرسم أحلاماً لعلها تنسيه جوعه ، تمنى لو تخرج له في تلك اللحظة جنية البحر لتنقذه ، كثيراً ما سمع البحارة يتناقلون أخبارها ، تخرج في أى صورة لصاحبها ، لم يرها أحد من قبل ، على الأقل ممن يعرفه ، لكنهم يزعمون أنها تلبى لصاحبها كل مطالبه . هكذا كانت الأسطورة تتناقل . تمنى لو تخرج له وقتها فيطلب منها طعاماً و شراباً ، ولا بأس ببعض المال ، يريد أن يسكت أنين معدته ، و يشعر بدفء جيبه بعد طول فراغ . أفاق من تأملاته بعد أن بدأ الظلام يبسط أرديته القاتمة على المكان ، أسرع بإخراج الشباك من البحر ، لا يدرى هل هو من تأثير الجوع أم من حرارة الشمس التي ألهبت رأسه طوال النهار ، أخرج الشباك بحماس و هو يتوقع أن تخرج معها جنية البحر ، يتصورها أمرأة جميلة ذات شعر طويل أصفر و لها ذيل سمكة ، عيونها زرقاء بلون البحر تسحر من يراها ، هكذا كانت والدته تصفها عندما تحكى له عنها . سحب الشباك بقوة و قد دب نشاط مفاجئ في جسده .. و لكن الشباك عادت إليه خاوية .. تماماً كمعدته .. شعر بقليل من خيبة الأمل لكنه سرعان ما أفاق من أحلامه ، لم يعد يستطيع رؤية يديه بسبب الظلام ، أسرع بطريق العودة إلى

الشاطئ . سيبيع الشباك الآن و يشترى بثمنها طعاماً ، و قد يسهر على المقهى الليلة مع الرجال.

رسا بالقارب ، بدأ يلملم شبكته عندما لاحظ شئ ما خطف أبصاره ، شئ لامع ، تنعكس أضواء الشاطئ البعيدة عليه فتجذبه ، أقترب من القارب .. سمكة صغيرة لم ير مثلها من قبل ، يبدو أنها علقت في الشباك و لم يلحظها بسبب صغر حجمها ، تطلع إليها بفضول ، ألوانها زاهية لا مثيل لها ، تتلوى على أرضية القارب المغمورة بقليل من الماء الراكد و هى تكاد تختنق ، أسرع إلى البحر فملأ دلو من المياه و ألقاها فيه ، قال لنفسه في سخرية : بدلاً من جنية البحر تخرج لى أحد أسماك الزينة .. لن أستطيع أن آكلها و لكن ربما أبيعها لأحد تجار سمك الزينة و أحصل على بعض المال.

حمل شباكه و توجه إلى أحد التجار فباعها له بعد جدال طويل ، لم يحصل على السعر الذي يرضيه و لكنه تحصل على ما يسد جوعه ، تذكر السمكة الملونة ، عاد إلى القارب ، حملها معه و توجه بها إلى بيته ، و في طريقه أشترى طعاماً و سجائر.

وصل بيته شبه المتداعى ، حاول أن يشعل المصباح و لكنه كان قديم و متهالك حاله مثل حال كل شئ آخر في البيت ، لم يستجب المصباح لمحاولاته سوى بعد جهد بضوء خافت ، جلس و هو ناقم ، تطلع للسمكة ،

و لدهشته .. أشعة المصباح الضعيفة كانت تنعكس عليها فيغمر جسدها الضياء ، لم يرى سمكة من قبل بهذا الشكل ، دنا منها ، لاحظها و هى تتحرك بلا نظام في كل أتجاه ، عاودته آلام الجوع فأخرج الطعام و بدأ يتناوله و هو يتسلى بمراقبة السمكة بألوانها الغريبة التي لم يشاهد مثلها من قبل ، أنهى الطعام بسرعة ، كان ينوى أن يتوجه للمقهى الليلة و لكن شئ ما جذبه إلى السمكة ، ظل طوال الليل بجوارها يتطلع إليها بأعجاب و نام دون أن يدرى.

أستيقظ في الصباح نشطاً ، كانت السمكة ما تزال في مكانها ، و بقايا الطعام تملأ المكان . قال لها : صباح الخير .. لا بد أنك جائعة . تثائب ثم أرتدى ملابسه و توجه للبحر ، و هناك أستقبله مركب على وشك الخروج ، لحق به كصياد أجير ، عندما وصل المركب لعرض البحر ، رمى الصيادين الشباك ، أنتظاراً للرزق بدأ يحكى لزملائه عن السمكة التي أصطادها بالأمس . أندهش البعض فلم ير أحد مثلها من قبل ، أقترحوا عليه أن يبيعها لأحد تجار سمك الزينة لعله يجنى من ورائها بعض المال . أخرج الصيادين الشباك ، لدهشتهم كانت ممتلئة على أشدها بالأسماك ، لم يتوقع الصيادين أن يكون البحر كريماً لهذا الحد ، رموا الشباك أكثر من مرة و في كل مرة خرج الصيد وفيراً . على غير العادة كان المكسب وفيراً ونصيبه كذلك

فلكل صياد على المركب نسبة من الربح ، لأول مـرة يتحـصل علـى مثـل هـذا المبلغ من عمله كصياد أجير، عندما توجه للشاطئ ، أشـترى طعامـاً كـثيراً ، تذكر السمكة الصغيرة ، جلب لها طعاما أيضاً ، أسـرع بـالعودة إلى منزلـه ، ذهب للأطمئنان على سمكته ، كانت حركتها بطيئـة ، رمـى لهـا بالطعـام و لكنها لم تأكل ، ضايقه الأمر ، دنا منها ، جلس بجوارهـا و تطلـع إليهـا ، سألها فجأة و كأنها تفهمه : لما لا تأكلين ؟ هـل الطعـام لا يعجبـك ؟ . أطلـق تنهيدة قصيرة ثم أستكمل : عندما كنت صغيرا كانوا يقدمون لى أحياناً أيـضاً طعاما لا أحبه .. و لكنى سأحضر لك طعاما أفضل المرة القادمة . لا يـدرى كـم لبث من الوقـت بجوارهـا .. و ربمـا بـسبب أرهـاق العمـل أو بـسبب أشـعة الشمس الـتي ألهبـت رأسـه طـوال النهـار .. أو بـسبب وحدتـه الـتي زادت حدتها عليه مؤخراً ، أفترش الأرض أمامها وأنطلق يحكى لها عن حياتـه ، عن ماضيه و طفولته ، عن أحلامه التي لا تتحقق .. و عن العزلة التي فرضها الفقر عليه فتكاد تقضى عليه . كان وحيداً يشتاق لمن يسمع منه .. و بدأ يشعر أنها تسمعه و تشاركه همومه ، كان يفسر كل حركة من جـسمها علـى أنهـا أيماءة ، و يرى كل ألتفاته على أنها أستجابه لحديثه ، و لأول مـرة ينتابـه الشعور أن أحداً يشاركه همومه ، أو هكذا خيل له . لم يكن له أصـدقاء يومـاً أو زوجة أو أولاد .. و لم يعتاد أن يفتح قلبه لأحد .. الغريب أنه كان يـسخر

من قبل عندما يتفاجئ بجارته المسنة تحدث قطتها كل صباح بعد أن هاجر كل أبناءها بحثاً عن رزق تعذر الحصول عليه في قريتهم المعدمة ، لم يكن وقتها يفهم سبب سلوكها بل و يستهزأ به ، و ها هو يقلدها .. شعر بالندم على سخريته السابقة منها . تكلم كثيراً و في النهاية نام بجوار السمكة.

أستيقظ في الصباح متأخراً ، ذهب إلى الشاطئ مسرعاً و لكن لم تعد هناك مراكب ، لم يكن يستطيع الخروج بمركبه الفارغة من شباك الصيد . في النهاية قرر أن يمضى بقية اليوم في المدينة للتسكع و لشراء بعض الأغراض ، أثناء تجواله مر بأحد محلات أسماك الزينة ، دلف إلى الداخل و وصف لصاحبها السمكة الصغيرة التي أصطادها ، هز صاحب المحل رأسه في حيرة قائلاً أنه لم ير من قبل سمكة بذلك الوصف ، ربما تكون سمكة نادرة .. عرض عليه مبلغ من المال لشرائها ، و على الرغم من أن المبلغ كان مغرياً بالنسبة إليه ، و لكنه رفض بل و سأله عن طعام مناسب لها ، أشترى الطعام رغم سعره الغالى . في طريقه للخارج وقعت عينه على حوض صغير للسمك ، جذبه الشكل على الفور .. حوض جميل مطلى بالذهب تنعكس عليه الأضواء فتزيده جمالاً ، شعر أنه صنع خصيصاً من أجل سمكته ، تخيل شكل سمكته فيه لبرهه قبل أن يصطدم بثمنه المرتفع ، وقف أمامه قليلاً مبهوراً ثم عزم أن يشتريه لاحقاً عندما يتوفر له المبلغ الكافى.

عندما رجع لقريته وصلته الأخبار المؤسفة .. البحر الهائج أنتابته نوبة غضب معتادة عصفت ببعض المراكب .. على الشاطئ لمح بعض أهالى القرية يتطلعون للبحر في حالة ترقب و حزن .. هل كانت مصادفة أنه لم يخرج اليوم للصيد .. عندما عاد لبيته في المساء مرهقاً ، توجه لرؤية السمكة ، لاحظ أن حركتها بطيئة ، رمي لها الطعام و لكنها لم تأكل منه أيضاً ، خاطبها بحسرة : لما لا تأكلين .. عرض على صاحب محل اليوم مبلغ كبير حقاً كى يحصل عليك .. هل أبيعك ؟ و لكن إذا فعلت ، من يسمعنى بعد ذلك ، و من يشاركنى وحدتى مثلك .. لا .. لن أسامح نفسى إن قمت بذلك ، و لن أتركك مهما حدث .. بل سأشترى حوض السمك الذي يليق بك بمجرد أن يتوافر لدى المبلغ الكافى .. أعدك بهذا . ظل بجانبها طوال الليل يحكى لها عن يومه ، في غمرة حديثه تذكر شيئاً فأسرى لها بحماس : هل تعلمين أننى لم أدخن من يومان رغم أنى أبتعت السجائر .. كنت أدخن فقط لأنفث همومى مع الدخان .. يبدو أنى لم أعد أحتاجها لأفرغ همومى .. لم أعد أعانى من الوحدة كما كنت ..

يوماً بعد يوم كان حبه لها يزداد حتى أصبح جنوناً يخشى أن يبرأ منه ، يخاف عليها بشده ، يبقيها بجواره حين ينام حتى تكون أول شئ تقع عيناه عليه حين يستيقظ ، يقضى نهاره يعمل بكد على المراكب و بقية ليله في

المنزل معها ، كان صيده وفيراً على غير العاده و مكسبه كذلك ، أشترى شباكاً جديدة و عاد للصيد على مركبه مجدداً ، يشترى مما يكسبه أحتياجاته البسيطة و يدخر الباقى ليبتاع حوض السمك الذهبى كما تعهد على نفسه .. مرت أسابيع .. و في أحد الليالى عندما عاد إلى البيت لاحظ أن سمكته راقدة في القاع و حركتها أبطأ من ذى قبل ، أنقبض قليه ، تطلع إليها فزعاً دون أن يدر كيف يتصرف . أعتراه خوف شل حركته ، وقف بجوارها عاجزاً ، راقب حركتها و قد بدأت تخمد ، و ألوانها الزاهية تفقد بريقها تدريجياً ، شعر بالفزع ، و لأول مرة من فترة طويلة ، يشعر بالخوف يجتاحه . خاطبها في توسل : أرجوك أبقى بجانبى .. لا ترحلى .. سأبتاع لك الحوض الذهبى .. أسرع الى الصندوق الذي يدخر فيه أمواله ، جذبه بعنف ، كان ممتلئاً إلى منتصفه تقريباً بالمال ، لم يكن يتوقع أنه أدخر كل هذا المبلغ . قال لها : أنظرى جمعت مالاً كثيراً من أجلك .. سأشترى ما تريدين .. و لكن أبقى بجانبى . و لكن سمكته واصلت رحلة خمودها ، كاد أن يجن ، شعر بضعفه ، وجد نفسه مدفوعاً بعيداً عنها ، ذهب للصلاة ، و عندما أنتهى تحول إليها ، و للوهلة الأولى أدرك أنها رحلت بعيداً خارج عالمه ، لم يكن ضوئها يملأ المكان ، راقدة في القاع بلا حركة ، أخرجها من الماء ، ثم أعادها إليه بيد ترتعش

ظل طوال اليوم ، بلا طعام ، بلا راحة ، لا يكاد يتحرك من مكانه ، قرر أن يعود بها من حيث أتت ، أستقل قاربه و ذهب لعرض البحر ، إلى أبعد مكان يمكن أن يصل إليه ، برفق رماها في البحر فلم يشعر إلا بقليل من العزاء

عندما رجع إلى بيته كان متعباً بشدة ، جلس على كرسيه بلا حركة ، تذكر أنه لم يأكل من الأمس ، نظر للمبلغ في الصندوق الخشبى ، المبلغ المخصص للحوض الذهبى ، أخرجه ببطء و أحصاه ، مبلغ كبير حقاً أدخره لم يتوقع أن يتحصل عليه يوماً ، فكر ماذا يفعل بكل هذا الكم من المال ، كان ينوى أن يشترى الحوض الذهبى لسمكته ، قال بعزم و كأنه يتخيلها أمامه : سأكون أنساناً جديداً .. لن أخذلك . في الصباح توجه للشاطئ و قد صمم على فكرة ما طالما روادت خياله مسبقاً ، أشترى مركباً أكبر من مركبه و شباكاً جديدة و طعاماً بوفرة ، أستأجر أثنان من الصيادين ، قرر أن يذهب فجأة إلى عرض البحر ، إلى أبعد نقطة ممكنة حيث لم يتجاوزها صياد ، أقنع الرجال معه بالمخاطرة ، ظل في البحر يوماً كاملاً ، كان يصطاد بلا كلل ، و عندما عاد كان المركب ممتلئاً على غير العادة ، غامر و ربح فالسمك أوفر في عرض البحر كما توقع تماماً ، ظل هكذا أكثر من عام ، كان بعض الصيادين يرون أنه مجنون ليخاطر بحياته في عرض البحر الممتد كصفحة بلا حدود ، لم يعتاد أحد الذهاب إلى هناك من قبل ، يخافون من غدر المياه ، والده خاطر

وذهب إلى هناك من قبل و لكن البحر رمى به جثة هامدة ، قالوا عنه أنه مجنون مثل والده و لكنهم في الواقع كانوا معجبين به ، كان رزقه كبيراً على غير المألوف ، و عندما يعود يلزم بيته ، ينام ساعات قليلة ثم ينطلق في الصباح مرة أخرى.

أستيقظ يوماً فقرر أن يغامر بفكرة جديدة ، ذهب إلى المدينة و أستأجر سيارة كبيرة ، قرر أن ينقل بها السمك إلى المدن البعيدة عن الشاطئ حيث لا يوجد السمك بوفرة ، كانت فكرته جيدة فربح الكثير من ورائها . بعد عدة سنوات كان قد ذاع صيته ، تزوج و قرر أن يبدأ مشروعاً آخر ، شارك أثنان من تجار القرية الأثرياء و قام بأفتتاح مطعم للأسماك في المدينة .. أستعان بعدد من النساء الأرامل في قريته ممن أبتلع البحر منهم في نوبات غضبه المعتادة رجالهم فسدت أمامهم كل منافذ الرزق .. من أفضل من زوجة صياد لطهى الأسماك على أى حال .. خسر في الشهور الأولى حتى فكر في التخلى عن فكرته و لكن سرعان ما تحولت خسارته إلى مكسب بعد أن بدأت جودة ما يقدمه تلفت الأنظار و تفرض نفسها في السوق .. بعد خمس سنوات كاملة أفتتح الفرع الثانى له .. ثم الثالث بعد عامان ، و أشترى سيارة جديدة لنقل الأسماك بدلاً من سيارته القديمة المتهالكة .. توقف عن الصيد و تفرغ لأعماله التي تتسع يوماً عن يوماً لتلتهم معظم وقته . سنوات كثيرة تواترت عليه و

هو يعمل بلا توقف حتى أضحى أسمه في كل مكان ، و كبرت ثروتـه . أنـشأ نقابة للصيادين لتعينهم على الحياة ، بيته الكبير بناه وسط القريـة ، قريـة الصيادين الذين أحبهم و أحبوه ، أنجب العديد من الأبناء و بدأ الشيب يغزو شعره . وهنت عظامه و غزا المرض جسده ببطء فبدأ يستـسلم لـه .. ذات يـوم جذبه الحنين للبحر الواسع ، وقف على الـشاطئ يتطلـع للميـاه ، يـسترجع ذكرياته كلها ، تذكر السمكة الصغيرة التي منحها البحر الغامض له عنـدما كان يحلم بجنية البحر كى تحقق كل أمانيه ، لم ينسى أن المبلغ الذي أدخره ليشترى لها حوضا ذهبيا هو الذي بدأ به حياته ، ها هو قد حقق كل أمنياته حتى لم يعد في جعبته المزيد من الأحلام ليسعى وراءها .. أبتسم بلا وعـى .. عندما حكى قصته لأحد أبنائه أخبره أنها ربمـا تكـون جنيـة البحـر .. هـز رأسه بقوة .. هل كانت جنية دفعته لتحقيق أحلامه بنفسه ؟ أم تراها أوهـام ترسخت في خياله بفعل سطوة أساطير قديمة لم يعد يقبلها العقل ؟ تطلع مرة أخرى للبحر الغامض الممتد أمامه بلا حدود حائراً دون أن يجد أجابة

هادى

عندما قابلت هادى لم يكن راضياً عن حياته .. فوالده ما زال يصرف عليه رغم تخرجه من سنوات طويلة .. بل أنه هو من تكفل بمصاريف زواجه .. و رغم أنه يعمل ليلاً و نهاراً إلا أن راتبه لا يكاد يكفى أحتياجاته الشخصية .. و لهذا سافر هادى للخارج .. و لكنه أخفى عن عائلته أنه يعمل كحارس أمن

و هادى ينحدر من أسرة ثرية .. أبوه هو عمدة القرية التي ولد بهـا .. و هو المنصب الذي لم يخرج عن عائلته و توارثته مـن فـترة طويلـة .. و معظـم أراض القرية الخصبة تعود ملكيتها لعائلته الكبيرة .. لهـذا كـان مـن العـار بالنسبة إليهم أن يسافر أحد أبنائهم للخارج لكى يعمل حارس أمن

و لم يكن هادى يبحث عن المال عندما فكر في السفر بقدر مـا كـان يبحـث عن فرصة للأستقلال عن عائلته ، و أثبات قدرته على النجاح بعيداً عـنهم .. فهادى منذ تخرج من كلية التجارة من فترة طويلة حيـث نـشأت قـصة حـب بينه و بين زميله له في الكلية لسنوات ، حاول أن يبحث عن عمل كمحاسـب ولكنه لم يوفق .. حتى عندما وجد عمـلاً في شـركة كـبرى في المدينـة لم يكـن

راتبه يكفى أحتياجاته الشخصية .. فهادى شديد الأهتمام و العناية بمظهره بحكم أنتمائه لعائلة ثرية .. و لولا مصروفه الذي ما زال يتلقاه من والده ما تمكن من الأنفاق على نفسه .. و مرت ثلاثة أعوام كاملة .. و فتاته ما زالت تنتظره .. و هادى ما زال يحاول أن يثبت نفسه بلا فائدة .. و بدأ صبرها ينفذ .. و طموحه يقل .. و لم يحقق شيئاً مما كان يحلم به ..أضطر أن يرجع إلى قريته محبطاً ليعمل في حسابات والده .. الامر الذي أسعد الأب و كان يتمناه من فترة .. و طلب هادى بحرج من والده أن يساعده في مصاريف زواجه .. و لم يمانع الأب .. و تم الزواج سريعاً .. و أنجب بنتاً جميلة .. و مرت أربع أعوام أخرى .. و بدأ هادى يتبرم من القرية و من العمل .. كره أن يعيش دوماً في ظل أبيه .. ليست تلك أحلام العمل التي طالما راودت خياله و كان يطمح إليها .. و بدأ يضيق بحياته .. و مما زاد قسوة هذا الشعور بداخله أنه ما زال يحصل على مصروف من والده بعد أن زادت نفقات معيشته بقدوم أبنته .. و رغم ذلك لم يحاول أن يتوقف عن أرتداء أغلى الملابس و الظهور بأفضل صورة .. فقد أعتاد أن يكون مثال لشباب القرية في الأناقة و محط أعجاب الناس في قريته .. و ربما كان ذلك هو النجاح الوحيد الذي حققه في حياته و لهذا ظل يحافظ عليه

و قرر هادى أن يبحث عن فرصة سفر .. لا يدرى كيف راودته الفكرة ..

ربما لأنه رأى الكثير من شباب القرية المعدم يسافر ثم يعود بعد سنوات قليلة و قد طرق الثراء أبوابهم .. فيقتنون أراض و يقيمون مشاريع .. و ربما لأنه أراد أن يثبت للجميع أن بأستطاعته النجاح بعيداً عن أهله .. و بحث هادى كثيراً و طال بحثه .. و شعر باليأس أن يجد عملاً يناسبه خاصة أنه لا يمتلك رصيد كاف من الخبرة يتيح له أيجاد أى عقد عمل مناسب .. و في زيارة له لصديق عاد للتو من الخارج ، حكى له صديقه كيف سافر في البداية كعامل بسيط في شركة صغيرة ، و تحمل لسنوات قليلة قبل أن ينجح في العثور على فرصة العمل التي يحلم بها .. و أعجب هادى بفكرة صديقه ، و أستولت على تفكيره .. فكر أن يسافر في البداية على أى عمل مهما كان بسيطاً .. ثم يبدأ في البحث بعدها عن فرص عمل أفضل له هناك بعد أن يستقر و يلم بأحوال البلد .. قرأ بعدها بأيام عن وظيفة لحراس أمن في أحد الدول الخليجية .. تقدم لها بتردد دون أن يخبر أحداً .. و تمت الموافقة عليه سريعاً .. أعد نفسه للسفر وسط طموحه بأن تكون تلك الفرصة أول خطوة على الطريق الصحيح .. و سافر وسط وداع حار من أهله بعد أن أوهم الجميع أنه حصل على عقد عمل كمحاسب في أحد الشركات الصغرى هناك

و في الغربة تبخرت أحلامه سريعاً .. وجد نفسه تحت رحمة كفيل لا يرحم .. و ساعات العمل الطويلة التي تصل إلى أثنى عشر ساعة يومياً أرهقته

و لم تتح له الفرصة للبحث عن عمل آخر .. زاد من همومه متاعب السكن حيث يقيم هو و سبعة من زملائه في غرفة واحدة ضيقة في منطقة شبه نائية .. فضلاً عن الوقوف على قدميه لساعات طويلة يقاسى الحر و أشعة الشمس .. و تحمل هادى ظروفاً لم يعتادها من قبل .. و رغم حياته المترفة من قبل لم يستسلم للظروف الصعبة التي يواجهها و صمم أن لا يفشل سريعاً .. لن ترحمه أعين الناس عندما يعود خائباً .. و لن يغفر لنفسه أن يظل فاشلاً يعيش على أحسان أبيه .. و تنقل هادى بين عدة مواقع لا يكاد يستقر في أى منها .. مرت شهور و بدأ جسمه يهزل .. و صبره يقل .. و بدأ يفكر جدياً في العودة .. قبل أن يستقر به المطاف للعمل كحارس في فندق كبير .. وهناك رأى عالماً لم يكن يحلم برؤيته .. و سحره عالم الفندق الفخم .. و أبتسمت له الدنيا قليلاً بعد أن وجد أن ظروف العمل في الفندق أفضل من غيرها من الأماكن الأخرى التي عمل بها .. تحسنت حالته و بدأ يستعيد عافيته تدريجياً .. كسب ثقة الجميع بعد أن لاحظوا أخلاصه و تفانيه في العمل .. ترقى سريعاً و حصل على أمتيازات عدة .. وأتيحت له الفرصة لتكوين علاقات مع كثير من العاملين بداخل الفندق .. كان أحدهم محاسباً مصرياً توطدت أواصر الصداقة بينهما بسرعة .. و عندما حكى له هادى عن ظروفه وعده أن يساعده .. نصحه فقط بالصبر قليلاً حتى تنتهى

مدة كفالته .. و أكد له أن فرص العمل متوافرة .. و برواتب كبيرة لا يحلم بها

و شجع هذا الكلام هادى و أحيا فيه الأمل .. و بدأ يحلم مرة أخرى بالنجاح .. و رسم أحلاماً عريضة .. كان قد مر عليه سنة و بضعة أشهر .. عليه الأنتظار سنة أخرى حتى يحقق أحلامه .. و لن يكون ذلك صعباً عليه بعد أن أعتاد الغربة .. كما أنه بدأ يحقق بعض النجاح و لا يريد التخلى عنه .. نال ثقة مديريه حتى أنه أنتقل للعمل داخل الفندق بدلاً من الوقوف على الباب الخارجى حيث المعاناة من حرارة الشمس و الرطوبة الخانقة .. و بدأ راتبه الهزيل يزداد تدريجياً .. و تخلص من مصاريفه الشخصية .. حيث لا يحتاج للتباهى بمظهره هنا فهو لا يرتدى في العمل سوى الزى المفروض عليه .. و بدأ يرسل معظم راتبه لزوجته .. و لأول مرة لم يعد يطلب من أبيه مصروفاً لينفق على أسرته الصغيرة .. صحيح أنه كان يشتاق لرؤية أبنته الحبيبة و زوجته .. و لكن صمم أن لا يعود حتى يتسنى بناء مستقبل أفضل لهما .. كما أنه يحدثهما بشكل مستمر .. و يمكنه الحصول على أجازة بعد بضعة أشهر للعودة للوطن و رؤية أسرته ..

وأستمر هادى في محادثة أسرته كل فترة للأطمئنان عليهم .. و كان يحادث بعض أصدقائه المقربين أحياناً على مواقع التواصل الأجتماعى التي

كان شغوفاً بها .. كان يوهم الجميع أنه يعمل كمحاسب في شركة محترمة رغم ضعف الراتب من أجل أكتساب بعض الخبرة تفيده لاحقاً .. و أنه أنتقل للعمل الآن في فندق كبير بنفس الوظيفة .. و لم يشك أحد في كلامه.

و بدأ هادى يعشق عمله داخل الفندق ، و ساعات تواجده فيه .. فالفندق الذي يعمل به من الفنادق المعروفة التي يقصدها كبار الشخصيات .. و هادى نفسه قابل الكثير منهم أثناء عمله .. مطربين مشهورين و ممثلين و رجال سياسة معروفين .. و لكن لم يحاول هادى الأحتكاك بأحد منهم طبقاً لسياسة الفندق .. و أنتشرت الأخبار يوماً ما عن أقامة بطولة عالمية لكرة القدم داخل الدولة التي يعمل بها .. و أن أكثر فرق العالم شهرة ستأتى للمشاركة في تلك البطولة .. و لأن هادى يحب كرة القدم بجنون .. تمنى فقط لو بأمكانه حضور أحد تلك المباريات و رؤية نجومه المفضلين

و توجه هادى يوماً للعمل ليتفاجئ بأستعدادات ضخمة تجرى في الفندق على غير المألوف .. و عندما سأل عن السبب أبلغوه أن الفندق تم أختياره ليستضيف بعض فرق البطولة .. نظراً لشهرته من ناحية ، و لقربه من ملاعب التدريب من ناحية أخرى .. و لعدة أيام ظلت الأستعدادات في الفندق تجرى على قدم و ساق .. و الكل في حالة تأهب لأستقبال الحدث الهام

كانت مفاجاة سارة لهادى عندما علم أن فريقه المفضل – برشلونة – من

الفرق التي يستضيفها الفندق .. كاد أن يطير من الفرحة .. لم يكن يتمنى من أيام قليلة سوى حضور أحد مباريات الفريق العالمى لرؤية لاعبيه المفضلين من الملعب .. و لكن الآن يمكنه رؤيتهم يومياً عن قرب .. بل و ربما تتاح له الفرصة للألتقاء بهم و التحدث معهم وجهاً لوجه .. و لم يعد ينام .. أصبح يعد اللحظات لقدوم الفريق .. خاصة و أن ذلك الساحر الصغير لاعبه المفضل – نجمه الأثير الذي يتابعه دائماً – سوف يكون متواجداً مع الفريق

وصل الفريق قبل الدورة بأيام قليلة .. و بدأ الفندق أتخاذ أجراءات حازمة غير معتادة .. فالفندق أضحى مقصد العديد من الصحفيين و المعجبين ممن حاولوا بكل الطرق أختراق الحصار و مقابلة اللاعبين .. و تم تغيير مكان هادى ليتولى الحراسة من خارج الفندق .. و أغضب هذا هادى .. فلم يعد يستطيع مقابلة أى لاعب .. خاصة و أن كل تحركاتهم تتم بحساب .. و تحت رقابة شديدة لم ينجح في أختراقها

و مضى يومان .. ثم قارب أسبوع على الانتهاء .. و هادى يتحين الفرصة المناسبة دون جدوى .. فهو لا يرى الفريق إلا عند مغادرته أو عودته للفندق .. و تابع مباريات البطولة من خلال التلفاز .. و رأى تألق لاعبه المفضل في أولى مباريات البطولة .. و زاده هذا تلهفاً على مقابلته .. و لكن كل محاولاته باءت بالفشل .. و كاد اليأس يتسرب إليه مع توالى المباريات و

أقتراب البطولة من نهايتها .. و لكن كان للمصادفة دور آخر

استدعاه مديره إلى مكتبه يوماً فهرع إليه .. كان هادى في طريقه للمصعد عندما رآه .. نجمه المفضل .. يتبادل الحديث مع بعض نزلاء الفندق و يلتقط عدد من الصور معهم .. لم يصدق هادى عيناه .. وجد نفسه يندفع إليه بلا تردد .. لم يعد يهمه قوانين الفندق .. نسى أو تناسى كل واجباته .. أسرع إليه غير مبال بشئ .. طفق يسلم عليه بحرارة بينما أبتسم اللاعب بأرتباك و هو يرى أندفاع ذلك المعجب المتحمس نحوه .. كانت كل ملامح الفرحة و الحماس ترتسم على وجهه .. و بسرعة و قبل أن يراه أحد من رؤسائه .. أخرج هاتفه النقال و طلب من النجم ألتقاط صورة معه .. لم يكن هادى يتقن لغته فأستخدم يديه للأشارة .. و فهم اللاعب .. وقف هادى بجانبه يبتسم بعدما طلب من أحد العابرين ألتقاط صورة لهما .. وعندما لمع فلاش الكاميرا .. كان هادى يبتسم بفخر و هو في قمة سعادته .. صافح النجم بعدها بفرح و أنصرف بسرعة

لم يتمالك هادى نفسه .. لم ينتظر العودة لمنزله .. تملكه الحماس بشدة و بدون تفكير أستخدم هاتفه ليضع الصورة لتتصدر حسابه الشخصى على الفيسبوك حتى يراها كل أصدقائه .. لن يصدقوا أن أبن قريتهم يقابل نجوم العالم و يلتقط الصور معهم .. و لأول مرة يشعر في حياته بالفخر .. و أنتظر

بشغف رد فعل أصدقائه على الصورة

و أحدثت الصورة أثرها بالفعل .. و بسرعة أنتقلت بين شباب القرية .. كانت العيون تطالعها بذهول .. ولم يعد هناك حديث في القرية سوى عن صورة هادى أبن قريتهم الأنيق مع اللاعب المعروف .. كان هادى يقف فعلاً بجانب أسطورة كرة القدم واضعاً يده على كتفه .. و لم يكن هناك شك أنه هو النجم العالمى .. و لكن لم يكن ذلك هو الشئ الوحيد في الصورة الذي لفت الأنتباه .. كان ما جذب أنتباههم حقاً و بشدة هو صورة هادى نفسه .. أبن العمدة .. يرتدى زي أزرق مميز مكتوب عليه بخط واضح – حارس أمن – باللغتين العربية و الأنجليزية .. تحته شعار شركة الأمن و أسمها .. و هو يتطلع للكاميرا و على شفتيه ترتسم أبتسامة ثقة رائعة